جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم الفلسفة

العالم و اللغة عند مارتن هيدغر

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

إعداد الطالبة :

إيناس كريبش

إشراف الأستاذ:

أ. د.عبد المجيد دهوم

السنة الجامعية 2015/2014

كلمة شكر

يبدأ طريق الألف ميل بخطوة, و لئن كان طريقي محفوفاً بمسارح كثيرة, فإنّي لا أستطيع أن أنكر فضل الذي رسم معالم هذا البحث, و وقّع ببصمته الخفيّة على خطوطه العريضة. و لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدّم بالشكر و العرفان لمن ساهم في إخراج هذا البحث في صورته هذه, فشكرا أستاذي على طول صبرك, و كرم إصغائك, و حسن توجيهك.

إهـــداء

حين تنسلـخ الذات عن وعيهـا من أجل أن تـحقق ذاتهـا..

هنـاك دومـا من يـحـاول أن يـهـذب اهتـمـامـهـا..

فتنفتـح أمـام إمكـانيـّاتها..لتـرسـم خـطّـا لهـا..

إلـيـه و لهـم أخـصّ إهـدائـي...

فهرس المحتويات

مقدّمة.....**5**

الفصل الأول

بنية الكينونة–في–العالم

تمهيد.....**10**

المبحث الأول:هيدغر بين الفنومينولوجيا و سؤال الكينونة

1- مدخل أولي لمسألة الكينونة.....12

2- مسألة الفنومينولوجيا و تمرّد هيدغر.....17

3- تحليلية الدازاين:الماهية و الحدود.....23

المبحث الثاني:فهم كينونة الدازاين انطلاقا من الكينونة –في–العالم

1- التحليل الأنطولوجي لظاهرة الكينونة –في– العالم.....29

2–هيئة الدازاين الأساسية داخل الكينونة –في–العالم.....32

3–مقولات العالم من خلال اليومية.....35

المبحث الثالث:التزمّن بما هو الأفق الممكن لتفسير الكينونة –في–العالم

1–علاقة الكينونة بالزمان.....37

2–الزمانيّة و تزمّن الدازاين.....44

الفصل الثاني:

الأبعاد الأنطولوجية لإشكالية اللغة

تمهيد.....**52**

المبحث الأول: الكلام و اللغة داخل العالم

1–تزمّن الكلام بوصفه أفق الفهم اللغوي.....55

2–اللغة بوصفها مسكن الكينونة.....58

المبحث الثاني:الفن و الحقيقة كانكشاف للعالم

1–هيدغر و لقاء الفنومينولوجيا بالفن.....61

2–الفن و حقيقة الانفتاح داخل العالم.....64

المبحث الثالث:اللغة و الشعر عند هيدغر

1–اللغة و الانفتاح الشعري.....69

2–شعرية الخطاب الهيدغري (هولدرلين نموذجاً).....73

الفصل الثالث:

المنعرج اللغوي و إنهاء الميتافيزيقا التقليدية

تمهيـد.....**80**

المبحث الأول:العود الأصلي للميتافيزيقا داخل فكر المنعطف/التأويلي.....82

المبحث الثاني:التخريج الهيدغري لمسألة العالم داخل "المنعرج اللغوي".....88

المبحث الثالث:العقلانية و اللغة:نحو براديغم جديد للعقل/التأويلي.....91

المبحث الرابع:مقاربة مسألتي العالم و اللغة بمسألة التأويل.....95

المبحث الخامس:هيدغر و مسارات الفكر ما بعد المنعرج.....101

خاتَمَـة.....**106**

قائمة المصادر و المراجع

مقدّمة

مقـدّمـــة:

في خضم المسائل المتشابكة, و المعتقدات المغلقة, وسط المعاني المتعددة, و المسلّمات الهشّة, تأتي حاجة الفكر إلى إحداث انقلاب جذري في تاريخ الفلسفة. و منه حاجة الإنسان لصقل فكره المِلْحاح, لأَنْ يصبو إلى التملّص من كل مفهوم لم يستوف معناه ,و كل منعرج لم يتبيّن مَعْلَمه ,بل و كل متاهة تنتهي به إلى طريق مسدود.من هنا يأتي "مارتن هيدغر* Martin Heidegger" الفيلسوف الألماني بامتياز ,يأتي ثائراً ,ناقداً ,و مقيّضاً لتاريخ الفكر الغربي بأكمله ,الذي حصر المفهوم في دائرة خانقة ,أَرْدَت به طريحًا ,بين عالم محسوس ,واقعي ,هو عالم الطبيعة و الكون,أو ما يطلق عليه بعالم الفيزيقاLa physique, و بين عالم ماورائي ,هو عالم ما بعد الطبيعة ,أو ما يطلق عليه بالميتافيزيقا La métaphysique .

يجد الكائن نفسه بذلك منقادًا للتفكير في وجوده, متسائلاً عن علل وجود الأشياء المحيطة به, بل متورطاً حتى النخاع داخل مسائل: الوجود, الكينونة, العالم, الزمان...التي من شأنها أن تفتح دروب الفكر المطل على نوافذ أخرى ,دروباً من شأنها أن تلامس إيقونة اللغة في علاقتها بالكينونة و وجود الكائن في العالم. هنا يَحْضُر "فلاح مسكيرشMesskirch" ,ليضع كل المفاهيم القديمة ,قاب قوسين

---

*- ولد "مارتن هيدغر" Martin Heidegger في 26 سبتمبر 1889 بمسكيرش ,و توفي عام 1976. نشأ في وسط كاثوليكي ,حيث درس في المدرسة اليسوعيّة بمدينة كونستانس ثم بفرايبورغ. أُتيحت له فرصة الإطلاع على كتاب "فرانز برنتانو Franz Brentano"في "الدلالات المتعدّدة للموجود عند أرسطو"الذي أهداه له صديق والده.أحرز درجة الدكتوراه سنة 1916 ببحث حول"نظرية الحكم في النزعة النفسانية" تحت إشراف أستاذه "هاينريش ريكيرت Heinrich Rickert",و أعدّ تحت إشراف أستاذه هوسرل Husserl رسالة الأستاذية حول "نظرية المقولات و المعنى عند دونس سكوت".تعتبر الفترة الممتدة من سنة 1927 إلى سنة 1928 ,فترة اشتغال هيدغر على مسائل الوجود و الحقيقة و الميتافيزيقا ,خاصة بعد تعيينه أستاذا للفلسفة في جامعة ماربورغ (Marburg).وهي الفترة نفسها التي أثمر فيها كتابه العمدة "الكينونة و الزمان Être et Temps"1927 بمعالجة سؤال معنى الكينونة ,الذي يمتد أثره إلى التفكيكية و نظريات الأدب و اللاهوت.و في سنة 1928 تمّ تعيين هيدغر بجامعة فرايبورغ خلفاً لأستاذه هوسرل ثم رئيساً لتلك الجامعة سنة 1933 .كان هيدغر مثار جدل سياسي إثر انتماءه للحزب الاشتراكي النازي ,الذي سرعان ما استقال منه بعد ذلك.و على إثر الهزيمة التي منيت بها ألمانيا في الحرب العالمية الثانية سنة 1945 مُنع هيدغر من التدريس إلى سنة 1955 .له عدّة مؤلفات ,نذكر منها :"كانط و مشكل الميتافيزيقا" 1929 ,"مدخل إلى الميتافيزيقا" 1935,"ما الحقيقة" 1943,"ما التفكير" 1956... الخ. و هي كلّها تدور حول سؤاله الرئيسي "معنى الكينونة" .

,و يسير بخطى ثابتة ,مُصوباً هدفه نحو الوجود أو الأنطولوجياL'ontologie ,التي من شأنها أن تفسّر وجود ذلك الموجود –في- العالم ,و تكشف عن خبايا القول داخل تجربة الفكر.

يحاول هيدغر الولوج داخل قوافل الفكر الغربي ,من خلال طرحه لسؤال الكينونة ,و علاقته بالعالم ,بل بكينونة الكائن و مصيره. لكن, و لكي نفهم هذه الكينونة, وجب علينا الولوج داخل مسألة اللغة, بوصفها شرط الوجود-في-العالم. بل هي الملكة المتميّزة, التي يستطيع الكائن من خلالها أن يُفكّر في العالم.و عليه, فإن الإشكالية الرئيسية التي تتستّر وراء بحثنا تكمن في السؤال الآتي: كيف تكون اللغة مكاناً لانفتاح العالم؟ أو : كيف ينجلي العالم داخل صرح اللغة؟ .

يقوم تساؤلنا هنا على طريقة تفكير العالم و اللغة, من خلال البنية المفهومة للكينونة/الوجود –في- العالم. على إثر ذلك يبزغ فجر أنطولوجيا جديد ,يقوم أساساً على اللغة بوصفها الطريق المثلى لفك طلاسم سؤال الكينونة ,و الظفر بالمعنى الأصيل للكائن و العالم.لتستقر الأنطولوجيا الهيدغرية في نهاية المطاف ,على مرسى "منعرج تأويلي" ,بموجبه تمتدّ مسألة العالم ومسألة اللغة إلى مرتبة فن الفهم الأصيل ,و التأويل الثابت للمعنى الصامت ,الكامن خلف إشكاليتي العالم و اللغة ,أو بعبارة أدق ,لمعنى المنعرج داخل السيّاج الأنطولوجي.

يجد قارئ هيدغر نفسَه منقادًا شيئا فشيئا ,داخل فكر مُتجدّد مع كل لحظة ,لا ينفك يعود إلى الأصل. بل هو مشروع لا ينتهي تشبهه زميلته "حنا آرندتHanna Arendt" بثوب بنلوب Pénélope في الأسطورة اليونانية .و قد لا نبالغ ,إذا قلنا إن من يريد الولوج داخل فكر كفكر هيدغر ,لابد أن يتسلّح منذ البداية بالإرادة و الصبر لاستكمال ما فكّر فيه الفيلسوف ,ذلك أن التفكير معه ,يأخذ في كثير من الأحيان ,طريقا متعرّجا يصعب التحكّم في استقامته.أما عن الصعوبات التي واجهتنا عند إخراجنا لمثل هذا العمل,نُجمله في نقطتين أساسيتين:أولهما ,مشكل الترجمة ,التي تختلف بحسب لغة المترجم ذاته.و ثانيهما ,عدم تمكننا كفايةً,من اللغة الأصليّة للفيلسوف (اللغة الألمانية) .

اعتمدنا في إخراج هذا البحث على المنهج التحليلي ,التاريخي ,المقارن ,حيث يتلاءم مع طبيعة الموضوع الذي يُجبرنا في كل مرّة ,على العودة إلى التاريخ ,و منه احداث الاختلاف بين ما تمّ التفكير فيه من قبل ,و بين ما فكّر فيه هيدغر ذاته.

ضمن هذه الوجهة أمكننا تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول:نكشف في الفصل الأول, عن بنية الكينونة-في-العالم. و من أجل ذلك ,حلّلنا أولاً سؤال هيدغر الرئيسي عن معنى الكينونة ,حسب التسلسل التاريخي للفلاسفة القدامى,لنصل إلى مسألة الفنومينولوجياLa phénoménologie و علاقتها بالكينونة و العالم.ثم تبيان المفهوم البديل الذي قدّمه هيدغر لمصطلح الإنسان ,و هو ما سيبيّنه العنصر الثالث من المبحث الأول بعنوان :تحليلية الدازاين/الماهية و الحدود.يقودنا ذلك مباشرة إلى المبحث الثاني ,الذي خصّصناه للتحليل الأنطولوجي لظاهرة الكينونة-في-العالم,و التي من خلالها نستطيع أن نحدّد الهيئة التي يكون عليها الدازاين في العالم.و من ثمّة الوقوف عند مقولات العالم اليوميّةLa quotidiennetéé (الوسطية,الثرثرة,الفضول,القيل و القال,الالتباس...).لا يكتمل هذا الفصل إلا بالتعرّج على التزمّن La temporalisation بما هو الأفق الممكن لتفسير الكينونة –في –العالم ,و هو عنوان المبحث الثالث الذي قمنا فيه باستبيان علاقة الكينونة بالزمان ,و ما ينجرّ عنها من تفصيل في الزمانيّة la temporalité وتزمّن الدازاين.

نفتح في الفصل الثاني مجالا للحديث عن الأبعاد الأنطولوجية لمسألة اللغة ,و ما يترتب عنها ,حاولنا إجماله في ثلاثة مباحث:نكتفي في المبحث الأول ,بالتعرض إلى الكلام و اللغة داخل العالم.مثل ذلك المبحث لن يكتمل إلا بالحديث عن تزمّن الكلام بما هو أفق الفهم اللغوي, و منه إلى اللغة بوصفها مسكن الكينونة الأصيل.أما المبحث الثاني ,فقد خصّصناه للفن و الحقيقة كانكشاف للعالم ,و هو بدوره ما يستدعي الفنومينولوجيا و علاقتها بالفن و هيدغر. و في المبحث الثالث وجدنا أنه من غير الإنصاف أن نُهمل قَصْد هيدغر من خلال تطرّقه للغة ,لنكشف بذلك عن الشعرLa poésie و علاقته بالانفتاح اللغوي ,وفي هذا المبحث ,عرّجنا على شعرية الخطاب الهولدرليني الذي نهل منه هيدغر لغته الشعرية.

نتوجّه في الفصل الثالث إلى المنعرج اللغوي و إنهاء الميتافيزيقا الغربية,إلا أن ذلك لن يتسنى لنا إلا بالعودة إلى التفكير من جديد في الأصل الميتافيزيقي ,لكن هذه المرة داخل فكر "المنعطف التأويلي" . ارتأينا في المبحث الثاني ,تحصيل ما تطرقنا إليه في الفصلين الأول و الثاني ,محاولين بذلك أن نبيّن مسألة التخريج الهيدغري لمسألة العالم داخل فكر "المنعرج اللغوي".لتتضح بذور لغة معقولية وضحناها في المبحث الثالث بعنوان:العقلانية و اللغة,نحو براديغم جديد للعقل (التأويلي).أما المبحث الرابع فقد أقمنا فيه مقاربة بين مسألة العالم و مسألة اللغة و علاقتهما بمسألة التأويل. و في المبحث الخامس و الأخير

تساءلنا بإيجاز حول مسارات الفكر ما بعد المنعرج و ما بعد هيدغر ذاته.إلا أن ذلك لا يعني نهاية البحث في الموضوع ,بقدر ما أجبرنا البحث نفسه على وضع خاتَمة موجزة أمام فكر هيدغر الهائل ,و لئن أصبنا في اختيار مباحثنا كما هي معروضة قبلاً ,فإننا لا ننكر أننا بقينا عطشى في حاجة إلى مزيد من الارواء لفكر هيدغر الأنطولوجي. و يبقى موضوعنا ذاته في حاجة لمزيد من الصقل المفهومي ,و يظل بحثنا في الأخير ما هو إلا نقطة من بحر الفكر.

الفصل الأول

بنية الكينونة – في – العالم

تمهيد

المبحث الأول: هيدغر بين الفنومينولوجيا و سؤال الكينونة

المبحث الثاني:فهم كينونة الدازاين انطلاقا من الكينونة –في– العالم

المبحث الثالث:التزمّن بما هو الأفق الممكن لتفسير الكينونة–في–العالم

تمهيد :

يتصف تفكير "هيدغر" منذ البداية ,بأنّه فكر أنطولوجي ظواهري ,يُعنى بـ "وصف الوجود*",من حيث هو الظاهرة الأوّلية ,التي يجب على كل أنطولوجيا استظهارها.يتخذ "هيدغر" من أجل ذلك "المنهج الفنومنولوجي" ,الذي التزم به أستاذه "هوسرل"Husserl ,طريقًا موجهًا للكشف عن خبايا الوجود و مكنوناته.إلا أنه ,و في خضم حديثه عن العالم Le monde ,نجده ينهج نهجاً آخر مخالفاً عن ذاك الذي قصده هوسرل ,يهدف بالدرجة الأولى ,لما سمّاه هو نفسه بـ"الأنطولوجيا الأساسية" L'ontologie fondamentale.

يبدأ "هيدغر" – من أجل تحقيق مسعاه – بـ "تقويض**" تاريخ الميتافيزيقا الغربية" ,منذ "أفلاطون"Platon ,بما في ذلك "هيراقليطس" Héraclite,إلى "كانط"Kant و "هيجل" Hegel,حتى "نيتشه"Nietzsche و "هوسرل".لكن لا يجب أن نفهم التقويض على أنّه تدمير لتلك الميتافيزيقا و غيرها ,و التنكر لما وصلت إليه ,بل إن ما يريده "هيدغر" هو إعادة طرح أسئلتها من جديد,بهدف الوقوف عمّا غفلت عنه ,و همّشته ,على إثر تحليلها للموجود .و من ثمة تبيان الاختلافLa différance الأنطولوجي ,الكامن بين الوجود والموجود ,و بذلك يُصبح : ((التمييز بين الوجود و الموجود ,هو العلة الخفيّة و اللامبررة لكل ميتافيزيقا ,و هو مع ذلك الأساس الذي تقوم عليه كل ميتافيزيقا.فكل حرص على الميتافيزيقا ,و كل مجهود يرمي إلى إقامة "أنطولوجيات" ,هي

---

* الوجود عند هيدغر وجودان :وجود على هيئة إمكان ,و وجود على هيئة واقع ,و يتم الانتقال من الوجود الأول إلى الوجود الثاني عن طريق الحرية.كما يجب التنبيه إلى أن الوجود الذي يقصده هيدغر ,هو الوجود الماهوي (Ex-sistance) و يتألف من مقطعين هما: Ex خارج ,و sister ,بمعنى يقف ,فهو الوجود الذي يقف خارج ذاته أي الوجود من حيث إمكان ,و بينه و بين العالم توتر مستمر ,لأنهما لا يمكن أن يتحدا و لا أن ينفصلا,و نحن في العالم نحقق إمكانيات إنما تصدر عن وجود ماهوي. للمزيد أنظر: عبد المنعم الحفني , المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة,مكتبة مدبولي, القاهرة,ط3, 2000 ,ص 934.

** لا يجب أن نفهم التقويض على أنه أمر سلبي , فهو لا يعني الانقطاع النهائي مع ماضي الفلسفة ,بقدر ما يعني "تصفية" ما جاء به التراث و غربلته. يقول غادامير في هذا النطاق : ((إن المسألة ليست مسألة إحكام أو صيانة أنفسنا بمقابل التراث الذي يعبّر عن نفسه من خلال النصوص,بل هي على العكس مسألة استبعاد أي شيء يمكن أن يمنعنا من فهم التراث بمقتضى موضوعه)) أنظر:هانز جورج غادامير, الحقيقة و المنهج,الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية,دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع,طرابلس ,ط1, 2007,ص 373.

أنساق مذهبية .و لكن كذلك كل نقد للأنطولوجيا داخل الميتافيزيقا ,كل ذلك لا يدل إلا على إغراق لا حد له في العمى ,عن هذه العلة الخفية.))[1] مما يعني أن عدم إدراك الفرق بين الوجود و الموجود ,هو ما شكّل في نهاية الأمر المسكوت عنه ,داخل الخطاب الميتافيزيقي.

يحضّر "هيدغر" لمثل هذا الطرح الأوّلي ,في كتابه العمدة " الكينونة و الزمان" 1927 ,الذي يكشف عن معالم طرحه المشروع لمعنى سؤال الوجود /الكينونة. ليقف السؤال ذاته عند المعنى التوضيحي لمسألة العالم. غير أن بلوغ مثل ذلك الطرح ,لن يكتمل ,إلا بالتوقف عند الزمان Le temps,يقول هيدغر : ((على أساس السؤال المفصّل عن معنى الكينونة ,ينبغي أن نبيّن ,أنّه ,و كيف أنّه ,إنّما في ظاهرة الزمان المستبصرة ,و المستوضحة حق قدرها ,تتجذّر الإشكالية المركزية لكل أنطولوجيا.))[2] و هو الأمر الذي يحيلنا – في الوقت نفسه – إلى علاقة الزمان بالكينونة, و بالأخص, كينونة الكائن المنفتح على العالم. ومنه الوقوف عند التزمّن كخيط موصول بزمانية و تاريخانيّة الكائن نفسه. غير أن الوصول إلى فهم صائب للوجود في علاقته بتزمّن الموجود ,لن يتسنى ,إلاّ بإعادة بناء ما همّشته تلك الفلسفات الغربية بهدف جذب ما هو مضمر و مخفي(معنى الوجود) ,وراء ما هو ظاهر وواضح(الموجود).و إذا كان الفلاسفة قبل "هيدغر" يُعنون بالموجود على حساب الوجود ,حتى "إن الموجود – عندهم- ليُقال على أنحاء شتى "على حد قول "أرسطو"Aristote ,فإنّه مع "هيدغر" سيتخذ مساراً آخر مناهضاً ,لما اعتادت عليه الفلسفات الغربية السابقة.بل إنّ عباءة الفلسفة ستكشف عن لونها الأصلي مع "هيدغر" ,من خلال الكشف عن الوجود ,الذي لا يتسنى ,إلا مع البدء بطرح السؤال عن معناه.

يحاول "هيدغر" إذن ,مُساءلة التفكير الغربي بكل حيثيّاته ,بهدف الوصول إلى معنى واضح لسؤال معنى الكينونة ,الذي يقوم أساساً على فهم الموجود (الإنسان) ,بوصفه الكائن المطّل على الوجود .و منه فإن : ((ما يطرحه هيدغر على الميتافيزيقا ,إنّما هو سؤال الوجود ,و معه سؤال الحقيقة ,والمعنى ,و اللوغوس .إن التأمّل غير المنقطع لهذا السؤال ,لا يعيد "ترميم" ضمانات ,بل هو بالعكس يُنفيها نحو

---

[1]- محمد محجوب,هيدغر و مشكل الميتافيزيقا,دار الجنوب للنشر,تونس,ط2, 1996, ص 102.

[2]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان,تر,فتحي المسكيني,مراجعة اسماعيل المصدق,دار الكتاب الجديدة المتحدة,بيروت,ط1, 2012 , ص 73.

عمقها الخاص ,و هذا ما دام يتعلّق بمعنى الوجود.))[1] يقول "دريدا".و هو ما يعني الوقوف عند ما لم تقوله الميتافيزيقا ,و منه التفكير مع هيدغر داخل الفكر المنسي لتاريخ الأنطولوجيا الغربية.بل محاولة إعطاء تأويل مقنع لما تم نسيانه و تهميشه (الوجود).

يتبلور المسار الفكري الأولّي لفلسفة هيدغر الأنطولوجية على هذا النحو,في الغوص داخل الخطاب المهمّش للميتافيزيقا,و من ثمة الانتقال بالأنطولوجيا التقليدية في اتجاه آخر معدّل ,أي إلى "أنطولوجيا أساسية" تقوم أولا على طرح سؤال معنى الكينونة/ العالم ,من أجل الظفر بالمفهوم الميتافيزيقي المفكّك , و استبداله بمفهوم أكثر وضوحًا و استجلاءً .

المبحث الأول/ هيدغر بين الفنومينولوجيا و سؤال الكينونة:

1/مدخل أوّلي لمسألة الكينونة :

يندرج البحث عن مسألة الكينونة ضمن معاودة التساؤل عن "دروب" التفكير الأنطولوجي القديم,أي التفكير في الوجود بدءاً من الإغريق* إلى فلاسفة العصر الحديث,ذلك ((أن كل وجود,إنما يتصف أولاً بالكينونة,فلا وجود بدون كينونة,و العكس صحيح حيث لا يمكن أن تكون كينونة بدون وجود.))[2]من هنا كانت مهمة هيدغر ,هي أن يجعلنا نفكّر معه في طرح سؤال معنى الكينونة الذي غفل عنه سابقوه. هذه المهمة لا تكتمل إلا إذا عدنا إلى تاريخ الأنطولوجيا القديمة التي فسّرت الوجود على عدة أوجه.

---

[1]- جاك دريدا, الكتابة و الاختلاف تر, جهاد كاظم, توبقال,الدار البيضاء ,2000 , ص 123.

*- إن التفكير مع هيدغر داخل الفكر الاغريقي القديم , يجعل الكثير من الفلاسفة يتساءلون حول سبب اختيار هيدغر للإغريق بالذات ,و في هذا يجيب هيدغر بقوله : ((إننا لا نبحث في الفكر الإغريقي حباً في الإغريق و طلباً للمعرفة,و سعياً وراءها ,فليس الإغريق في استعمالاتنا اللغوية خاصية عرقية و لا موطناً و لا ثقافة و حضارة.الإغريق فجر قدر انكشف على ضوئه الوجود كموجود.))أنظر: M .Heidegger, Chemins qui ne mènent nulle part, tr, Wolfgand Brokmeir, éd, Gallimard, Paris, 1962, p 274.

[2]- Martin Heidegger, Introduction à la métaphysique, tr, Gilbert Kahn, éd Gallimard, paris, 1994, p 13.

يشير هيدغر –بدايةً- إلى ثلاث افتراضات مسبقة لدى اليونان في تفسير الوجود:أولها,من حيث أنّه أكثر التصورات عمومية,و عمومية تعلو على أي جنس آخر,وهذا القول لا يعني أنّه أكثرها وضوحاً,بل بالأحرى أكثرها غموضاً و خفاءً. ثانيها, من حيث أنّه غير قابل للتعريف, و عدم قابليته للتعريف تلزمنا بمواجهة أنفسنا بالسؤال عن معناه.ثالثها,أن الوجود هو أكثر التصورات وضوحاً بذاته,و هو أساس أي سلوك نحو الموجودات أو أي سلوك تقصد به الذات ذاتها.[1] و منه فإن إعطاء مفهوم واضح و دقيق لمعنى الوجود ,هو ما سيلزم هيدغر منذ كتابه "الكينونة و الزمان" على تتبّع المراحل اليونانية السابقة في محاولتها للكشف عن مسارات الكينونة و طرائقها,إلا أن ذلك لا يعني بلوغ المفهوم بقدر ما ينمّ عن تقوقع المعنى و حصره داخل دائرة الموجود.

ينتقل المفهوم التقليدي للوجود مع مجيء أفلاطون , و يستحيل من صورته المادية المحايثة إلى صور و ماهيات عقلية,تتحوّل بموجبها الحقيقة -عبر ثلاث مستويات*-من كونها انكشافًا و لاتحجب, إلى صواب النظر واستقامته.و لتوضيح ذلك يشير هيدغر إلى ضرورة إعادة تأويل أسطورة الكهف في الكتاب السابع من الجمهورية,والتي يرى بأنها تحمل أكثر من دلالة رمزية مرتبطة بكل عنصر من عناصر الأسطورة.[2]

إن "أفلاطون" في نظر "هيدغر",حين فرض سيادة المثال(مثال الخير) على اللاتحجب,و ذلك بأن أخضع حضور و لاتحجب الموجود لنور المثال,و حينما أحال المعرفة إلى مشاهدة للمثل,إنما أراد الإشارة إلى

---

[1]- صفاء عبد السلام جعفر,الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر, منشاة المعارف, الاسكندرية,ط1, 2000, ص 56.

*- يمثل المستوى الأول: مرحلة الحجب و الخفاء, و هذا حين لا يلاحظ السجناء المقيدين بالأغلال غير ظلال الأشياء المنعكسة على الجدار.و يمثل المستوى الثاني: مرحلة الكشف و اللاتحجب في صورته الدنيا, حيث يتمكن السجناء الذين استطاعوا التحرر من الأغلال من مشاهدة الأشياء التي تتراءى لهم على ضوء النار المشتعلة داخل الكهف مشاهدة مضطربة بفعل ضوء النار الذي يغشى عيونهم كونهم لم يتعودوا عليه بعد.أما المستوى الثالث: فيمثل مرحلة الكشف و اللاتحجب في صورته الكاملة حيث يتمكن السجين – الذي استطاع الخروج من الكهف- من مشاهدة الأشياء نفسها دون خلط أو اضطراب. أنظر: Martin Heidegger, Question II ,tr, Kostats Axelos, Jean Baufret, Dominique Janicaud, Lucien Braun, Michel Haar, André Préau, François Fédier, édition Gallimard,Paris,1968,pp138-140.

[2] - Bertrand Rioux, L'être et la vérité chez Heidegger et Saint Tomas d'Aquin, 1ere édition, presse universitaire de France, Paris, 1963, p 12.

شيء فضّل السكوت عنه,و هو تخلي الحقيقة عن خاصية اللاتحجب الأساسية ,لتُصبح – نتيجة خضوعها لنور المثال – صحة نظر (إدراك).وفي هذا تحول لموضع الحقيقة الذي لم يعد الموجود نفسه,و إنما العقل الإنساني بوصفه موضع النظر و التعقل.[1]

ينمّ هذا التحول الذي طرأ على تصوّر الحضور و اللاتحجب ,عن التحوّل الحاصل في تصوّر "اللوغوس" ,الذي أصبح يشير إلى معنى القول« Discours » خاصة مع "هيراقليطس" الذي يربطه بفعل "الليجين"* Legen .و لأن فعل "الليجين" يعني" قال- Dit",و اللوغوس يدل أيضا على البيان و الكلام,صار معنى اللوغوس هو القول و الكلام بالمعنى الذي نقصده من مفهوم القضية.[2]و على إثر ذلك التحوّل تظهر الحقيقة في نظر هيراقليطس بما ((هي الانكشاف و اللاتحجب ,أو مفارقة الحجب و الخفاء إلى الظهور و الجلاء.))[3] لكن و بغض النظر عن هذا التحول و ذاك ,فإن ما وصل إليه أفلاطون و قبله هيراقليطس ,يظل محكوماً بالسؤال الميتافيزيقي ما هو الموجود؟ ,بدل السؤال الأنطولوجي ما هو الوجود؟. و بهذا بقيت مشكلة الوجود محض مهمّة ميتافيزيقية ,تنتهي إلى مجرّد بحث مقولاتي , يرمي إلى فهم كيفيات الموجود و تجليّاته الابستيمولوجية ,و هو ما يستغيضه هيدغر و يهجّنه.ذلك أن ما يهم هيدغر ,هو المفهوم الأنطولوجي لا المفهوم الابستيمولوجي ,و من ثمة ((فكل أنطولوجيا – حسبه- و إن توفرت على نسق من المقولات مهما كان ثرياً و ثابت الترابط,إنما تبقى في أساسها عمياء,و تبقى انحرافاً عن مقصدها الأخص,إن هي لم توضّح قبلاً معنى الكينونة كفاية,و لم تتصوّر هذا الإيضاح بوصفه مهمتها الأساسية.))[4]

---

[1] - Martin Heidegger, Question II ,op, cit, p p 152-154.

*- الليجين Legen تعني جمع ,وصل ,وضع الشيء مع الشيء ,و الواقع أن (وضع) legen هو فعل يجمع ,يحمي ,يصون و يحفظ ,و هو لذلك "فعل يبسط الشيء أمامنا" ,فعل يظهر الشيء الحاضر و المنبسط أمام أعيننا. أنظر: مارتن هيدغر ,مبدأ العلّة,تر,نظير جاهل,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ,بيروت ,1995 ,ص 118.

[2] - Bertrand Rioux, L'être et la vérité chez Heidegger et Saint Tomas d'Aquin, op, cit, p 14.

[3] -Kostats Axelos, Héraclite et la philosophie, 7eme édition, les éditions de minuit, paris, 1968, p 85.

[4]- مارتن هيدغر ,الكينونة و الزمان ,ص 62.

يواصل "أرسطو" التفكير في ماهية الحقيقة بما هي لوغوس و أليثيا Aléthia,من خلال فكرته عن اللوغوس الأبوفانسيكيLogos Apophantique** ,الذي يشير إلى معنى الكشف و إتاحة الرؤية من حيث هو كشف و إظهار للموجود من خلال القول.[1] و لئن كانت ماهية الوجود مع أفلاطون و هيراقليطس,تعني اللاتحجب (أليثيا),فإنها مع أرسطو تتعلق بالصدق و الكذب في الحكم,و هي أقرب إلى المنطق منه إلى الوجود.و هذا يدل على أن أرسطو ذاته لم يخرج عن المفهوم اليوناني القديم للوغوس,فهو من خلال "اللوغوس الأبوفانسيكي" يؤكد على مصدر الحقيقة بما هي لاتحجّب و انكشاف.

يحتدم الصراع الفكري أكثر فأكثر ,كلما خرجنا عصراً من العصور و دخلنا عصراً جديداً,فمع بداية العصر الحديث نجد "ديكارت" Descartes يحصر انتباهه في مسألة "الأنا المفكرة",و عبر رحلته في التأملات ,توصل إلى مبدئه الأول "أنا أفكر إذن أنا موجود",ليصبح التفكير معه هو السبيل إلى إثبات الوجود ((هذا المبدأ يعطي تأكيداً عن الوجود و عن الحقيقة و التفكير.))[2]

لكن "ديكارت" بإثباته لأولوية الفكر على الوجود,قد واصل التفكير - مع أفلاطون - في الوجود من منطلق الموجود.و الأكثر من ذلك , أنه أحال الوجود إلى صورة مدركة,و ذلك يعد عند هيدغر تشويهاً للوجود,و لعلاقة الإنسان بالوجود,و من ثمة لماهية الإنسان كعلّو transcendance و وجود متخرج[3]. فهل سيكون الأمر نفسه مع "كانط" ,و "هيجل" ,و "نيتشه"؟

يواصل "كانط" التفكير في الذاتية,من خلال فكرته عن الأنا المتعالية أو الذات المنطقية ,التي تقوم بوظيفة البناء,حيث تستحيل "الأنا الديكارتية" إلى "أنا أربط,أصل و أنشئ",و مأخذ هيدغر على كانط يقع

**- اللوغوس الأبوفانسيك Logos Apophantique هو التصريح عن طريق قضية تحتمل التكذيب و الاثبات.أنظر: Paul Foulquié, Dictionnaire de la langue philosophie,1ere édition ,presse universitaire de France, Paris,1962,p 40.

[1] -Bertrand Rioux, L'être et la vérité chez Heidegger et Saint Tomas d'Aquin, op, cit, p 14.

[2]- جمال محمد أحمد سليمان,الوجود و الموجود/مارتن هيدغر,إشراف,أحمد عبد الحليم عطية,دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ,2009, صص 44-45.

[3]- Bertrand Rioux, L'être et la vérité chez Heidegger et Saint Tomas d'Aquin, op, cit, p 30.

في هذا الشطر بالذات,أي أن كانط لم يتناول الكوجيتو Cogito "في صورته الكاملة".إنه لم يتناول هذا التحديد للذات "كأنا أفكر في موضوع ما" ضمن الإطار الأنطولوجي ,أي كأنا أفكر في الوجود كوجود لا كموجود.لقد فات كانط – في نظر هيدغر – التفكير في ماهية الإنسان كانفتاح و تعرّض لإنارة الوجود,و من ثمة التفكير في البعد الأنطولوجي للذات من حيث هي فهم للوجود,لا معرفة بالوجود.[1] خاصة أن فهم الوجود بالنسبة لهيدغر يتعلق بوجود الإنسان لا بمعرفته كما هو الحال عند كانط.

يحاول "هيغل" –من جهة أخرى- التفكير في الوجود من خلال سلبه أو العدم Le Néant,إلا أن ذلك لم يُفلح في إخراج الميتافيزيقا من دائرة الموجود.فقد أغفل هو الآخر الفارق الأنطولوجي بين الوجود و الموجود,الأمر الذي جعله لم يتساءل مثل كل ميتافيزيقا عن الوجود بما هو وجود,و تصوّره على أنه الفراغ الأكثر اكتمالا. [2]

يبدو أن "نيتشه" هو الآخر قد انطلق من مبدأ الذاتية ,الذي يعطي الأولوية للذات على الفكر,و منه للمعرفة على الوجود,فقد رأى ((أنه داخل الإنسان الذي يعيش تجربة الحياة الأرضية , يوجد إنسان آخر يفصح عن نفسه ,إنه الإنسان الأعلى ,و هو لا يستطيع أن يشكل من نفسه إلا شذرات توحي بكلية حياته ضمن الأرضي الذي يحتفي بالجسد.))[3] و بذلك يمكن القول أن" نيتشه" هو بمثابة الشكل الأخير الذي وصلت إليه الذاتية , فبمقولة "الإنسان الأرقى" يقضي نيتشه على ما يسمّى بميتافيزيقا الحضور,و((يفكّك المركزية الغربية المتمثلة بـ"العقل و الإله",ليقيم مركزية جديدة وهي مركزية الإنسان الأرقى,لهذا السبب عدّه هيدغر آخر الميتافيزيقيين.))[4]

لا يكشف تاريخ الأنطولوجيا – إلى حد الآن- إلا عن حقيقة واحدة ,و هي أنها تاريخ الاهتمام بالموجود بما هو موجود.الأمر الذي أجبر هيدغر في كل مرّة على العودة إلى الفلسفة الإغريقية ,التي ارتبط معها الوجود كموجود.لكن يبقى هدفه من وراء ذلك مرهونا بمشكلة المعرفة , و العلاقة بين الذات و الموضوع .و لئن اختلفت الطريقة في التفكير ,يبقى المنطلق واحداً ,و هو الموجود ,و منه تخفّي

---

[1] - Bertrand Rioux, L'être et la vérité chez Heidegger et Saint Tomas d'Aquin, op, cit, p 30.

[2]- جمال محمد أحمد سليمان ,الوجود و الموجود/مارتن هيدغر ,ص 71 .

[3]- رودولف شناينر ,نيتشه مكافحا ضد عصره ,تر,حسن صقر,دار الحصاد للنشر و التوزيع,دمشق,ط1, 1998 ,ص 212.

[4]- عبد الله عبد الهادي المرهج,نقد المركزيات في فلسفة نيتشه ,دار الروافد الثقافية,بيروت-لبنان ,ط1, 2012, ص 192.

الوجود.من هنا فإن مسعى هيدغر يكمن أساساً في تجاوز تلك العلاقة بين الذات و الموضوع , و التفكير في الموجود بما هو انفتاح للوجود ,لترتبط مشكلة المعرفة معه بالأنطولوجيا الأساسية التي يرمي إلى تأسيسها عن طريق الولوج أكثر داخل الموجود بوصفه وجودا – في – العالم كما سيتبيّن توضيحه لاحقاً.

إن تهميش الأنطولوجيا القديمة للوجود و اهتمامها بالموجود ,هو ما أدى بهيدغر إلى إعادة طرح سؤال معنى الوجود/العالم بطريقة مستجدة ,تقوم في الأساس ,على استنطاق ما تمّ نسيانه سابقاً. لكن هذا لايعني أن هيدغر لا يعترف بالطرح الميتافيزيقي من وراء إيقاظه لسؤال الوجود ,بل إن محاولته تهدف إلى تأويل الوجود الذي يقوم أساساً على فهم الموجود ,و منه الكشف عن المعنى الأولي للوجود بما هو حضور.لكن يبقى طرح مسألة الكينونة ,و منه مسألة العالم ,من منظور أفلاطون ,و رؤيته للحقيقة كلاتحجب,و ديكارت كذات مفكرة, و كانط كذات ترنسندنتالية ,أو هيجل و فكرته عن السلب/العدم,أو نيتشه و فكرته عن الإنسان الأعلى...إلخ لا تكفي للوصول إلى المعنى الحقيقي للوجود/العالم , ومنه يبقى الطرح قائماً حول السؤال عن المعنى يحتاج لمزيد من التفسير. و هو الأمر الذي جعل هيدغر يغيّر مسار تفكيره فيما بعد.

2/مسألة الفنومينولوجيا و تمرّد هيدغر:

تنطلق مسألة الفنومينولوجيا أساساً ,من جهود "هوسرل" في الكشف عن "علم الظواهر" ,من أجل الوصول بالفلسفة إلى درجة العلم اليقيني مثلها مثل بقية العلوم الرياضية و الفيزيائية.و في سبيل ذلك,يحاول "هوسرل" في كتابه "ظاهراتية وعي الزمان الباطني" ((أن يبرز,عبر تحليلات ظاهراتية متألقة,التركيب المتعالي للإدراك و صلته بال'المعنى الباطني'.فمن خلال استمراره في إعادة صياغة تساؤلاته و تنقيتها شرع,انطلاقاً من هذا الأساس,في تصميم النظام الكلي لفلسفة مُقعدة ظاهراتياً بوصفها علماً دقيقاً.))[1]

---

[1]- هانز جورج غادامير,طرق هيدغر,تر: حسن ناظم و علي حاكم صالح,دار الكتاب الجديدة المتحدة, طرابلس, 2007, ص 139.

يتجه "هوسرل " في سبيل جعل الفلسفة علماً دقيقاً* إلى البحث عن المعاني و الماهيات الخالصة,و البداية تكون من دراسة المباشر ((بيد أن المباشر في نظر هوسرل ليس هو العالم المحسوس,كما يذهب إلى هذا التجريبيون و الحسيون ,لأن التجربة الحسية لا يمكن أن تعطينا اليقين الذي يستبعد إمكان الشك في وجود العالم المحسوس,كما يبيّن لنا الشكاك اليونانيون.و كل موضوع هو"معطى"لنا على أنه شعور واقعي ,أو ممكن للأنا المفكّر.و لهذا فإن العالم كلّه المحيط بي ليس غير" ظاهرة وجود",و ليس عالماً موجوداً بيقين.))[1] من هنا ,يبدو لنا النفَس الديكارتي واضحاً كل الوضوح,و الحقيقة أن فلسفة "هوسرل" هي عودة إلى "ديكارت" لكن عن طريق "كانط" ,ذلك أنّه لا يمكن فصل "الأنا المفكّرة" الديكارتية عن الموجودات,بل إن الأنا تحيل مباشرة إلى موضوعاتها التي لا يمكن تفكّرها إلا في أفق الأنا المفكّرة.هذه الإحالة هي بالضبط ما يسمّيها "هوسرل" بـ"القصدية L'intentionnalité,و التي يصفها في كتابه"تأملات ديكارتية"1929 قائلاً: ((كلمة القصدية لا تدل على شيء آخر ,غير هذه الخاصية الأساسية و العامة ,التي يختص بها الشعور بأن يكون شعور بشيء ما,و أن يحمل في ذاته هو,بوصفه أنا أفكر,موضوعه المفكّر فيه.))[2]أي أنّه لا يمكن تصور موضوع بدون ذات,و من ثمة فإنه لا وجود للموضوع خارج وعي الذات,ذلك أن الوعي هو وعي متجه إلى شيء بذاته.فلا يوجد موضوع مهما اختلفت طبيعته دون غاية و قصد ,يرمي من ورائها إلى كشف ماهية موجّهة إلى موضوع معيّن.

يدل معنى الإحالة La référence أو القصدية عند "هوسرل" ,على الشعور الفعّال الذي "يصنع موضوعه في الإدراك",بحيث يمرّ هذا الشعور بأربع لحظات هامة ,هي:أولاً,وضع "التاريخ" بين أقواس,أي غض النظر عن كل ما تلقيناه من نظريات و آراء,فلا نلتفت إلا إلى ما هو معطى لنا مباشرة.ثانياً,وضع "الوجود" بين أقواس,و الامتناع – مؤقتاً- على أحكام الوجود ,حتى لو كان وجود الأنا.ثالثاً,الرد أو الاختزال الصوري,و يقوم على التمييز بين الواقعة و الماهية,و فيها نرد الوقائع الجزئية أو الفردية إلى الماهية

---

*- يعتبر كتاب هوسرل " الفلسفة بوصفها علماً دقيقاً"حلقة الوصل بين كتابه في " الأبحاث المنطقية" 1900 ,الذي وضع فيه أسس الظاهرة بما هي ظاهرة وصفية ,و بين كتابه "الأفكار1"1912 و هو الكتاب الذي قدّم فيه الظاهرة بما هي ظاهرة ترنسندنتالية أو متعالية.

[1]- عبد الرحمان بدوي, مدخل جديد إلى الفلسفة, وكالة المطبوعات, الكويت, ط1, 1975, صص 132-133.

[2]- إدموند هوسرل, تأملات ديكارتية, تر: نازلي اسماعيل حسين ,دار المعارف ,القاهرة ,1970 ,ص 141.

الكلية,فمثلاً,نرد مختلف أفراد الانسانية إلى ماهية "الانسان" . رابعاً: الرد أو الاختزال المتعالي,و يقوم على التمييز بين الواقعي و اللاواقعي.و فيه نرد المعطيات في الشعور العادي إلى ظواهر متعالية في الشعور الخالص.[1]و بهذا يكون هوسرل قد مهّد لفلسفة علمية ,تقوم أساساً على إدراك الاختلاف ,بين الظاهرة كما هي معطاة ,و بين الماهية. حيث يكون الشعور هو الوحدة التي تربط بين الذات و الموضوع ,و هو ما يدل على ربط هوسرل للظاهرة بالتجربة الشعورية ,و منه الاعتراف بالذات الإنسانية.

تريد فلسفة الظواهر أن تضعنا بإزاء "العالم المدرَك,المعايش ,المشعور به,المتعقل,المحكوم عليه, المراد,..."و حين يمارس الفيلسوف الظاهري عملية "التوقف عن الحكم",فإن ما يظهر أمامه ليس هو العالم ,أو أية منطقة من مناطق العالم,بل "معنى" العالم.و لما كان علم الظواهر بحثاً عن المعنى فإنه لا يمكن أن يتخلى تماماً عن الذات الفردية التي تقوم بعمليات الرد و الاختزال و التحليل.[2]وبهذا يكون "هوسرل" نفسه قد وقع - في آخر المطاف- في شباك "البينذاتية"L'in-subjectivité التي أراد الابتعاد عنها.الأمر الذي أوقعه في شرك الميتافيزيقا,حيث إنه لم يخرج عن الدائرة الموسومة بتصعيد الموجود ,وإن اختلفت التسمية(الوعي/القصد).يقول "جان فال" :((إن الفنومينولوجيا قد اتجهت إلى محاولة وصف مجال الوعي كما هو في ذاته,و من ثم تكون قد تابعت التقليد الأفلاطوني الديكارتي,كما أنها قد هدفت إلى بيان فاعلية الفعل,و البحث عمّا أسماه الفنومينولوجيون بأسس أفعال العقل ,و بذلك تكون قد تابعت الاتجاه الكانطي.))[3]

يبقى مسعى "هوسرل" في جعل الفلسفة علماً دقيقاً مرتبطاً بمدى تجاوز مشكلة المعرفة ,و يبقى الشعور بما هو ذات و موضوع معاً ,هو ما يعرقل تحقيق مثل ذاك التجاوز المعرفي ,بل إن فلسفة الظواهر لا تلبث أن تكون فلسفة ذاتية مثلها مثل الفلسفات السابقة ,و منه الابتعاد عن المسعى الوجودي الخالص بحيث تصبح العملية الظاهرية مجرّد عملية ميتافيزيقية لا تخرج عن دائرة الوعي.يقول "روديجر بوبنر" في هذا النطاق: ((إن مشروع الفلسفة المتعالية هو نفسه ,أثر من آثار الماضي,أثر لا مناص من

---

[1]- فؤاد كامل ,أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ,دار الجيل ,بيروت ,ط1 , 1993, ص 166.

[2]- المرجع نفسه ,صص 166-167.

[3]- جان فال ,طريق الفيلسوف,تر,أحمد حمدي محمود,مراجعة,أبو العلاء عفيفي,مؤسسة سجل العرب,القاهرة,1967,ص 292.

تجـاوزه إذا أرادت نظريـة الوجـود أن تصل إلى نتيجتهـا النهائيـة.))[1] و هـو الأمـر الذي أدّى بهيدغر إلى الخـروج عن مسـار الفنومينـولوجيـا الهوسـرليـة.فكيـف ذلـك ؟

لا يفهم "هيدغر"- بـادئ ذي بدء - الفنومينولوجيـا كما هي عند "هوسرل",أي أنهـا فلسفة ترنسندنتـاليـة,بل يفهمـها بوصفها طريقـة معالجة لـمسألة أنطولوجية ما ,يؤكد هيدغر ذلك بقوله: ((إنما الفنومينولوجيا هي طريقة الولوج إلى ,و طريقة التعيين المُثْبِت لما يجب أن يكون موضوعًا للأنطولوجيا ,فليست الأنطولوجيا ممكنة إلا بوصفها فنومينولوجيا.))[2] و هذا ما توضحه بالضبط الفقرة السابعة من كتابه "الكينونة و الزمان",و عليه فالفنومينولوجيا تكشف أولاً عن "مفهوم منهجي" لا يرمي إلى وصف الموضـوع ,بقدر ما ينّم عن الهيئة التي يكـون عليها ذلك الموضوع .و هو الأمـر ذاته الذي جعل "هيدغر" منذ سنة 1929 يأخـذ قرار الانقطـاع عن أستاذه,خاصة بعد أن تيقّن أن العود الهوسـرلي لا يقـدر على طـرح سـؤال الوجـود إلا من زاويـة الموجـود ,الذي يعـي موضـوعـه .و لئن بـقي رأي "هوسرل" في خـروج "هيدغر" عن المسار الفنومينولوجي, متعلّقاً - في نظره — بـسوء فهم التلميذ,لأنـه لـم ينتبه لحقيقة المضمون المنهجي ,يبقى مسعى "هيدغر" لا يتعلّق بإقامة نظرية إبستيمولوجية ,بقدر ما يتعلّق بالمسألة الوجودية ,و هو مـا جعله يغيّر وجهته الفنومينولـوجية إلى وجهـة أكثـر تمسكـاً بمعنى العالم ,و أوضح تعبيـراً للوجـود الأصيل.

يذهب هيدغر في محـاولتـه لإعطـاء مفهـوم واضـح للفنومينـولوجيـا إلى القـول إنهـا مقسّمـة إلى قسمين:الظاهـرة phénomène و اللوغـوس ,بـل إنّه ينحى بها إلى معنىً مغاير,وهذا المعـنى ((هو "القـول" و"الكـلام" أي "اللفـظ" أو "ماهو ملفـوظ.))[3] و هو الأمـر الذي يقودنـا —في الوقت نفسه- إلى التسـاؤل: إذا كان اللوغـوس هو الكلمـة و منـه اللغـة- كما سيتبيّن في الفصل الثاني- ,فمـا الذي يقصده هيدغر بالظـاهـرة؟و ما علاقتهـا بالعـالم؟

---

[1] - رودیجر بوبنر, الفلسفة الألمانية الحديثة تر:فؤاد كامل دار الثقافة للنشر و التوزيع ,القاهرة,(د.ط),(د.ت) ,ص 43.

[2] - مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 100.

[3] - Martin Heidegger, Essais et Conférences, traduit par André Préau et préface par Jean Beaufret, Edition Gallimard, 1958, p251.

يفهم هيدغر الظاهرة على أنها ما يُظهر نفسه بنفسه,أي أنه ينظر إلى ظاهرة العالم بما يظهر لنا و يتكشّف ,و بذلك يُصبح ((الانبثاق الأولي Le surgissement prométhéen –في نظر هيدغر- الذي يؤسس نفسه مع مجيء الإنسان ,يؤسس المعنى كانكشاف داخل اللامعنى كتستّر و انحجاب, و هذا التستّر و الانحجاب هو اللاحقيقة الأصيلة و الأولية pré-existante ,التي تتقدّم كل حقيقة و كل تكشّف أو ظهور.))[1]

ينزاح "هيدغر" شيئاً فشيئاً عن مذهب أستاذه "هوسرل" ,و يبدأ بشق طريقه الخاص ,حيث يمكن للانكشاف بما هو ظهور أن يمارس سلطته الكاملة على الوجود. و ليس من شك أن "هيدغر" قد استفاد في هذا الخصوص من كتاب "أرسطو" في "الفيزياء"* و فيه يميز "أرسطو" بين: ((شأنين أو حالين من "الظاهر/ الجلي" ما هو أشد ظهوراً باعتبار الناظر و من يظهر له,أي في لحاظ إدراكنا نحن من جهة ,و ما هو ,من جهة أخرى ,أشد ظهوراً باعتباره ذاته و من حيث أنّ من طبيعته التفتح و التشعشع و الظهور.))[2]

يكمن مسقط الاختلاف بين "هيدغر" و "هوسرل" خاصة في "مشكلة العالم",فإذا كان "هوسرل" يكتفي بإخراج الظاهرة ,و حصرها في مجرّد "المعنى" ,حيث لا يتم إدراك العالم ما لم تكن هناك "ذات" قادرة على تفكير العالم,فإن هيدغر بمقابل ذلك يربط العالم بالوجود و العودة إلى الأصل ,أي العودة إلى اللحظة التي يتجلّى فيها الأفق Horizon .يقول هيدغر: ((الأفق هو المجال الذي ينفتح فيه حضور الأشياء أمام الأشياء))[3] .و منه العودة إلى بداية الحرث ,بل إلى تفحّص تربة الأرض الأولى حيث ينكشّف

---

[1] -Alphonse de Waelhens, phénoménologie et vérité, 1ere édition, presse universitaire de France, paris, 1953, p118.

*- في محاولته (هيدغر) لتأويل كلمة "الفيزيس" يورد هيدغر فقرة مميزة من كتاب "الفيزياء" لأرسطو, نصها كالآتي: ((و على ما يبدو فإن من شأن طريق البحث أن ينطلق من الأشياء الأكثر معرفة و وضوحاً بالنسبة لنا إلى الأشياء التي هي أبين و أكثر قبولاً لأن تُعرف بطبيعتها,إذ ليس سواء حال الأشياء التي يكون حصول المعرفة بها بالنسبة لنا,على وجه مباشر,كحال الأشياء التي تحصل معرفتها على الاطلاق,لذلك وجب على وجه ضروري,أن نبتدئ فنتطرق إلى الأشياء الأقل خفاءً و غموضاً بذاتها و أجلى وضوحاً بالنسبة لنا لغاية أن ننتقل إلى الأشياء التي تكون بذاتها أكثر وضوحاً و أقرب إلى الفهم)) انظر:أرسطو,الفيزياء-السماع الطبيعي,تر:عبد القادر قينيني ,إفريقيا الشرق, بيروت-لبنان ,(د.ط),1992, ص 11.

[2]- مارتن هيدغر, مبدأ العلة ,ص 71.

[3] -M. Heidegger, Questions III et IV, op, cit, p 155.

العالم أمام الدازاين علامةً ,يقول هيدغر في هذا المقام : ((إن إشارة العلامة يمكن أن تدرَك بوصفها إحالة.غير أنّه ينبغي التنبيه على: أن هذه "الإحالة" من حيث هي إشارة ليست هي البنية الأنطولوجية للعلامة بما هي أداة.))[1] يتعلق الأمر هنا ,بـ"وصف الظاهرة" كما تظهر لنا ,من حيث هي كذلك ,و منه يُصبح الوجود هو ما ينكشف لنا ,أي ما يتعلق بظهوره ,يقول هيدغر: ((يشكّل الانكشاف خاصة أساسية من خصائص الوجود...و إن لهذا الوجود ملكة الظهور, غير أن هذه الملكة ليست جزءاً من "أجهزة الوجود", بل إن الظهور هو من خاصية الوجود.فليس هنا وجود يقوم بذاته ثم إنه يظهر فيما بعد... إن كلمة وجود تتفرّع من الظهور, إننا لا نفهم معنى كلمة وجود إلا على أساس الظهور.))[2] .غير أن ذلك لا يعني أن هيدغر يُعنى بفهم الموجود في ظهوره ,بقدر ما يَعني اهتمامه بوجود الموجود ,و هو الأمر الذي استعصى فهمه ضمن "ظاهريات" هوسرل.

لقد سعى هيدغر إذن ,إلى إعادة طرح معنى الوجود ,الذي هُمّش من طرف الميتافيزيقا الغربية بما فيها فنومينولوجيا أستاذه هوسرل ,التي اهتمّت هي الأخرى بالموجود عن طريق دراستها لمعطيات الوعي و الادراك.و بالتالي فهي لم تبتعد البتة عن اللغة الميتافيزيقية الأفلاطونية و الذاتية الديكارتية. لهذا نجده (هيدغر) يدعو إلى إعادة التفكير داخل الوعي الهوسرلي من أجل استخلاص ما تمّ السكوت عنه ,و بعبارة أخرى: ((هل تساءل هوسرل عن وجود الوعي أو لا,حين أعلن أن دائرة الوعي هي دائرة و منطقة "الوجود المطلق"؟و بعامة,هل طرحت الفنومينولوجيا السؤال عن الوجود أم لا ؟هل كان هوسرل على بيّنة من معنى الوجود الذي يفترضه مفهوم القصدية ؟))[3] أو بالأحرى , هل تساءل "هوسرل" عن وجود الوعي كتجربة واقعانية تُعنى بالكينونة الذاتية بدل المعرفة السطحية لمظهر الذات. ؟ و هذا ما لم يتفطن إليه "هوسرل" ,حيث اقتصرت الفنومينولوجية الهوسرلية على تبيان الوعي ,بما هو ذات يقصد موضوعه بغرض التوصل إلى المعرفة,في حين يُعنى هيدغر منذ مراحل تفكيره الأولى بالكينونة ,متجاوزاً العلاقة القديمة بين الذات و الموضوع.و إذا كان هوسرل قد أرجع القصدية إلى عناصر ميتافيزيقية بحتة,من قبيل "النوئيز و

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 172.

[2]-مارتن هيدغر ,مبدأ العلة ,ص 76.

[3]- فتحي المسكيني ,نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإنسان الأخير,مركز الانماء القومي ,بيروت ,2005 ,ص 159.

النوئيم" * فهو بذلك لم يخرج عن إطار مشكلة المعرفة (مشكلة الذات و الموضوع), و اقتصر نظره على الموضوع المدرك.

تتحوّل الفنومينولوجيا حسب مفهوم هيدغر, من مجرّد معرفة للذات إلى كينونة الذات,حيث إن الكائن هو الذي يملك القدرة على طرح سؤال معنى الكينونة و ما يحتويه العالم من موجودات.و بذلك تتحوّل القصدية مع هيدغر إلى ظاهرة وجودية بحتة,و ما استخدامه للفظة "دازاين " لدليل واضح على تمرّده على النص الفنومينولوجي الترنسندنتالي,و بداية فنومنولوجيا جديدة تتجه وجهة مغايرة ,ترمي أساساً إلى فهم الوجود بأبعاده الأنطولوجية.بل إن مصطلح "الدازاين" هو بمثابة المؤشر الذي بموجبه يستيقظ الوجود من عتمة الميتافيزيقا.بحيث يُصبح ((الوجود اليقضان Das wachsein فلسفيا معناه :أنه وجود حي ضمن تفسير أصلي للذات تهبه الفلسفة لذاتها من ذاتها ,حيث إنها تشكّل إمكانية و طريقة حاسمة لتفسير الدازاين لذاته.))[1]

3/تحليلية الدازاين بوصفها هيئة الكينونة/الماهية و الحدود:

يصل هيدغر من خلال طرحه لسؤال معنى الوجود إلى ما يسميه هو ذاته بـ"الأنطولوجيا الأساسية" , بحيث يُصبح السؤال متعلقاً بمن يقوم بالتساؤل عن الوجود و عن العالم.و عليه ,فالأنطولوجيا الهيدغرية لا تريد أن تقتصر على المفهوم العام للوجود ,بقدر ما تريد أن تكشف عن "ماهية وجود" من يقوم بطرح السؤال. هذا الموجود الذي يملك إمكانية التسآل عن وجوده,و وجود الموجودات الأخرى هو ما يصطلح عليه هيدغر بمصطلح "دازاين*"يقول هيدغر: ((إن ما هو أكثر أصالة من الإنسان هو الدازاين

---

*- يستعمل هوسرل التعبير"NOESIS" للدلالة على المضمونات الواقعية بينما يستعمل اللفظ"NOEMA" للدلالة على المضمونات غير الواقعية الموجودة في الشعور.فالقصدية مزيج من النوئيز (التعقل) و النوئيما(المعقول).

[1]- فتحي المسكيني ,نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإنسان الأخير ,ص 71.

*- تدل لفظة "الدازاين"Dasein على "الوجود هناك" و قد استخدمها هيدغر للدلالة على الوجود الإنساني المتميّز في علاقته مع الوجود-في-العالم.و يفرّق هيدغر بين Dasein (كينونة الهُناك) و بين Existenz (الوجود), فالدازاين يتميز بطريقة كينونة تجعله يسأل عن معنى الكينونة,أما الوجود فهو نفسه طريقة كينونة هي تلك التي تجعل الدازاين يسأل عن معنى كينونته.أنظر : مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 65.

نفسه.))[1] و هو ما ينم في الوقت نفسه على أن هيدغر يتحاشى استخدام لفظة (إنسان) ,و يستبدلها بلفظة "دازاين" ,بل إنّه(هيدغر) يتحاشى اللفظ الذي دأبت عليه الأنطولوجيات السابقة ,خاصة مع "أرسطو" الذي اعتاد على الإشارة للإنسان على أنه ذلك "الحيوان العاقل".

ينطلق هيدغر في تحليله للدازاين من معقولية الدازاين في علاقته بالوجود و العالم,و هو بذلك يدعونا إلى ارتياد المسلك الذي لم تفكر فيه الميتافيزيقا من قبل,أي النظر إلى كينونة الإنسان و فهمها بواسطة مجموع الإمكانات المحيطة بوجوده. يقول هيدغر: ((إن الدازاين لا يفيد عندي معنىً مرادفاً للكائن الإنسي(الإنسان),إنما يفيد أمراً يخالف ما دأب على دركه نيتشه و التراث الفلسفي معه بلفظ الوجود(البشري).فما صار يُدّل إليه بهذا اللفظ عندي- "دازاين"- لم يحدث أن سُبق إلى مقصوده أبداً في تاريخ الفلسفة إلى يومنا هذا.))[2] و بذلك, فإن المسألة تتعلق بالأساس الذي على إثره نصطلح على الإنسان بذاك اللفظ أو غيره.

يصبح الطريق الهادي لتحليلية الدازاين مرهون بمدى فهم السؤال ,الذي يبحث عن "الدازاين" و تجليّاته في الوجود.و عليه فالغوص "داخل" كينونة الدازاين الأنطولوجية مرتبط بمدى فهم الكينونة الخاصة للدازاين ذاته.من هنا فإن "تحليلية الدازاين" عند هيدغر تأخذ طريقاً مختلفًا ,بل هي الدرب الأنطولوجي الذي يقود إلى تفسير الوجود و تجلّيه في العالم. يقول هيدغر: ((يتعيّن الدازاين في كل مرة من حيث هو كائن ,انطلاقا من إمكان هو **هو**...بيد أنه إنّما في ذلك يكمن الأمر ,الذي يقضي بالنسبة إلى التأويل الأنطولوجي لهذا الكائن ,بتطوير إشكالية كينونته انطلاقا من وجودانيّة وجوده.))[3]

إن ما يريده هيدغر من خلال تحليله للدازاين ,هو الوصول بسؤال الوجود إلى أقصاه,ولا يكون هذا الأخير إلاّ في ضوء "الوجود الإنساني" و "الكائن المتسائل عن وجوده" ,الذي هو الدازاين ,و عليه ,يكون التحليل الأنطولوجي للدازاين ,هو نقطة الارتكاز في البحث الفلسفي عند هيدغر ,بل إنّه أساس كل

---

[1]- M. Heidegger, Kant et le problème de la métaphysique, tr, W. Bimel et A.Waelhens, Gallimard, 1964, p207.

[2]- محمد الشيخ, نقد الحداثة في فكر هيدغر ,الشبكة العربية للأبحاث و النشر ,بيروت ط1 , 2008, ص 134.

[3]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 114.

بحث أنطولوجي, و بموجب ذلك يُصبح ((الوجود بالنسبة للموجود هو بالضبط **ما*** يشير إليه,**ما** يجعله مرئياً دون أن يشير إلى نفسه.))[1] و هذه "المائية" بافتراضها للماهية (ماهية الانسان) هي التي تؤدي إلى السقوط مرة أخرى في الميتافيزيقا ,و منه اجتناب البحث في ثنايا السؤال التقليدي" ما هو الإنسان؟ و استبداله بالسؤال عن "من هو الدازاين؟" الأكثر أصالة و تجذر للمعنى.و حسب عبارة ميشال هار: ((يأخذ السؤال "من هو الإنسان؟" مظهر درب مطروق , إنه على أكثر تقدير تيار بلا هدف تسقط عليه عاصفة الوجود.))[2]

يسعى هيدغر من خلال تعرضه لكينونة الإنسان ,بما هي دازاين, أن ينجح حيث أخفق "ديكارت" يقول: ((إن ديكارت الذي سُجّل باسمه اكتشاف cogito sum بوصفه قاعدة انطلاق التسآل الفلسفي الحديث ,إنّما هو قد بحث في cogitare الذي من شأن الego... و على الضدّ من ذلك هو يترك sum غير مبيّن تماماً... إن التحليلية إنّما تطرح السؤال الأنطولوجي عن وجود الـ sum ,فإذا تعيّن هذا,صار جنس كينونة الـ cogitare قابلاً للإدراك.))[3] معنى ذلك أن هيدغر يعود إلى المشكلة القديمة (الذات/الموضوع) ,لكن يبدو أن الذات الديكارتية لم تُفلح في الافصاح عن هيئة الأنا في تصادمها مع الموضوع ,ذلك أن ديكارت اهتم بالـ"أنا أفكر" ,أي أنه ربط الأنا/الذات بالفكر دون أن يُحلل هذه الذات في تصادمها مع أشياء العالم.ما جعله يُفكر في هذه الذات من حيث هي كيفية من كيفيات الوجود لا موضوعاً للمعرفة.

يواصل هيدغر السعي وراء تحقيق الذات الأصيلة –كما رفع رايتها نيتشه من قبل "كُن أنت نفسك"– بغية الوصول إلى تحقيق الوجود الأصيل , ليصل إلى القول: ((إن الدازاين إنّما يملك أوّلية متعددة

---

*- يذهب هيدغر إلى ربط "مائية الموجود" بالكينونة الخاصة به يقول:((إن مائية (essentia) das wassein هذا الكائن,إنما ينبغي بقدر ما يمكن أن يُتكلّم في ذلك بعامة ,أن تُتصوّر انطلاقاً من كينونته existentia)) و عليه يكون ((الكائن إما **من** ein wer (وجود) و إما **ماذا** ein was (قيمومة بالمعنى الواسع)).أنظر: مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان ,ص ص 111-117.

[1] -M. Heidegger, Questions III et IV, tr, jean beaufret, françois fédier, et d'autres, édition Gallimard, 1976, p 243.

[2]-Michel Haar, Heidegger et L'essence de l'homme, Grenoble, Gérôme Million, 1990, p 1.

[3]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 118

على كل كائن آخر,فأما الأولى فإنها أنطيقية:هذا الكائن متعيّن ضمن كينونته بواسطة الوجود,و أما الأوليّة الثانية فإنها أنطولوجية.إن الدازاين على أساس تعيّن الوجود الذي من شأنه ,هو في ذات نفسه أنطولوجي.))[1] وهو ما يعني العودة إلى التمييز بين الوجود و الموجود.أي بين الأونطيقي و الأنطولوجي ,ذلك أن: ((الأنطولوجي يرجع إلى ما يجعل الموجود موجوداً,أي يرجع إلى تركيبه الأساسي. أما الموجودي فيشمل الموجود كما هو معطى.))[2] و في خضم ذلك ,يجوز لنا طرح السؤال الآتي :ما هي الخصائص الأساسية التي من شأنها أن تحدّد ماهية الدازاين الوجوديّة ؟

يهدف هيدغر من خلال تحليله للدازاين إلى تبيان ماهيته ,بوصفه كائناً قادراً على السؤال عن معنى الوجود أولاً ,و متميّزاً عن غيره من الكائنات بذلك الفهم الوجودي ثانياً. من هنا فقط نفهم قوله : ((إن ماهية الدازاين تكمن في وجوده.))[3] إلا أن مثل ذلك الفهم يقتضي الوقوف عند " الخصائص الوجوديّة", التي من شأنها أن تعبّر عن الخيوط الأولى لتشكل "الدازاين الوجودي",و هو من أجل ذلك نجده ينطلق من "اليوميّة" ,التي تكشف بدورها عن هيئة الدازاين في حياته العادية.

يوجد الدازاين أولاً **كـــواقعة** ,بحيث يكون وجوده ملقى به في العالم ,يقول هيدغر في هذا النطاق: ((إن مفهوم الواقعانيّة إنّما يضم في نفسه الكينونة- في- العالم ,التي من شأن كائن "داخل العالم" على نحو ,بحيث يمكن لهذا الكائن أن يفهم نفسه ,بوصفه قد زُجّ به في " قَدَره" مع كينونة الكائن الذي يلاقيه داخل عالمه الخاص.))[4]و هو ما يعني ارتباط الدازاين الواقعاني بوجود العالم,الذي يحيل إلى وقائعيته .من هنا فإن ((الوقائعية Facticité تعني بالضبط المقاومة الصلبة, التي يُبديها الواقعي في وجه كل محاولة للإدراك و الفهم .و هي تعني في صياغة هيدغر لها التحديد الأساسي للدازاين))[5]يقول "غادامير " Gadamer.

تتجه "التحليلية " إذن , نحو إمكاناتها الأنطولوجية ,أي الصفات التي بموجبها يستطيع الدازاين الولوج داخل العالم بوصفه كائناً منفتحاً على الكينونة ,و يُصبح الاهتمام بذلك منصباً حول تحليل

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 66.

[2]- عبد الرحمان بدوي, موسوعة الفلسفة,ج2,المؤسسة العربية للدراسات و النشر ,بيروت ,ط1, 1984,ص 600.

[3]- مارتن هيدغر ,الكينونة و الزمان ,ص 112 .

[4]- المصدر نفسه ,ص 134.

[5]- هانز جورج غادامير,طرق هيدغر,ص 144.

أسلوب من يقوم بالسؤال عن الوجود و ((وجود هذا السائل يفترق عن سائر الموجودات في كونه على علاقة دائمة مع نفسه,هذه القدرة على..فهم امكانيات وجوده,تعبّر عن خاصية أساسية في تكوين هذا الموجود الذي يتميّز "بالتواجد **Ek-sistence**."[*]))[1] و هذا تأكيد آخر على أن الأنطولوجيا التقليدية لم تُفكر في حقيقة الوجود أو حقيقة الإنسان كدازاين (آنية) ,أي كتواجد و تخارج.هذه الأخيرة (فكرة التواجد أو التخارج) سنجدها ابتداءً من كتابه "ماهية الحقيقة" ,تحل مكانة فكرة "الوجود -في- العالم" الموجودة في "الكينونة و الزمان" . و يبيّن هيدغر ذلك بقوله: ((في الآنية يصون الإنسان ذلك الأساس الماهوي الذي ظل لزمن طويل بدون أساس... و الوجود هنا لا يُقصَد به وجود الموجود, بمعنى وروده أو حضوره أمامنا.و لا ينبغي كذلك أن يُفهَم بالمعنى (الموجودي) ,أي بمعنى الجهد الأخلاقي الذي نقصده من اهتمام الإنسان بنفسه اهتماماً قائماً على تكوينه الجسدي و النفسي.إن التواجد Ek-sistance ...هو التعرض لتكشف الموجود من حيث هو كذلك.))[2] و عليه يكون التواجد هو ما يدل على تعرض الموجود لنور الوجود الذي يكشف بدوره عن الوجود الحقيقي للآنية.

يصل هيدغر إلى الإقرار بأن الدازاين يتخارج/ يسقط ,أي أنّه ينفتح باعتباره"ليس ذلك الموجود", يتساءل هنا ميشال هار, فيقول : ((هل يمكن اختزال الإنسان إلى مجرّد انفتاحة تبدو غامضة,إلى بُعْد

---

[*]- التواجد "Ek-sistance": يستبدل هيدغر حرف x الذي تُكتب به الكلمة – عادة- existance بحرف k لكي يكون السابقة اليونانية التي تعني, بعيدا عن/خروجا من..أي أن الوجود عنده تخارج نحو الوجود و في اتجاهه.أنظر: مارتن هيدغر,نداء الحقيقة,تر,عبد الغفار مكاوي,دار الثقافة للطباعة و النشر ,القاهرة ,1977, ص 43.

- كما يجب التفريق بين "الوجود الماهويEx-sistance" –الذي سبق تعريفه- و التواجد, أما "الوجود"Existance: فهو وجود بذاته en soi أي واقع الوجود بمعزل عن المعرفة,و وجود في التجربة أي واقع الوجود الماثل حالياً في إدراك الأنا أو في وعيه,أو الممثول كموضوع اختبار ضروري,على الرغم من كونه غير راهن,و الكلمة بالمعنى الأول و المعنى الثاني تتعارض و الجوهر l'essense مثلما يتعارض واقع الوجود مع طبيعة الوجود, ومن جانب آخر تتعارض و العدم Néant مثلما يتعارض الايجاب و النفي.أنظر:أندريه لالاند ,موسوعة لالاند الفلسفية,ج1,تعريب,خليل أحمد خليل,إشراف,أحمد عويدات,منشورات عويدات,بيروت,ط2, 2001,ص 386.

[1]- مارتن هيدغر,نداء الحقيقة ,ص 43.

[2]- Martin Heidegger, De L'essence de la vérité, approche de l'allégorie de caverne et du Théétète de platon,traduit et introduction par A. de Waelhens et W.Biemel, Nauwelarts, Vrin, Louvain, Paris,1948, pp 85-86 .

تخارجيExtatique خالص. ؟))[1] و أن يتخارج الدازاين,يعني أن يفتح مجالاً للأفق أو الفسحة la contrée التي تنتمي للوجود-في – العالم , و هو ما لا يتفق مع فلاسفة العصر الحديث ,التي ظلت محافظة على تصور كانط للأفق ,الذي يربطه بمقولتي "الزمان و المكان".على العكس من ذلك يفكّر هيدغر مسألة الأفق في ضوء العهد Ereignis* ,الذي يكشف في النهاية عن تعيّن الدازاين بالقرب من الوجود بوصفه حارساً للوجود,و حافظاً له من السقوط في النسيان.

يحيلنا الحديث عن فكرة التواجد أو التخارج إلى مسألة الحرية ,من حيث هي خاصية أساسية للموجود ,الذي يتميز بالتواجد ,يقول هيدغر: ((ترك الموجود يوجد,أي الحرية هو في ذاته استعراض خارجي أمام الموجود ,وهو بذلك وجود منفتح و برّاني Ek-sistant.إن ماهية الحرية...تبدو أمام الموجود خروجًا و انفتاحًا أمام الموجود, من حيث له سمة كونه قابلا للانكشاف.))[2]مما يعني انفتاح الذات على الوجود ,في اللحظة التي تترك فيها ذلك الوجود ينكشف و ينوجد ,و منه فالذات تملك إمكانية الانفتاح في الوقت الذي تنصت فيه لما هو ماثل أمامنا في الوجود. و بموجب ذلك تُصبح ((الحرية- مع هيدغر- هي الهبة Geben أو الانصراف إلى انكشاف الموجود بما هو كذلك ,و التكشّف نفسه يحافظ عليه ,و يُصان في الهبة المتخارجة ,و بفضل هذه الهبة (أو هذا الانصراف و التوجه) يكون انفتاح المفتوح ,أي يكون "الهناك" ما يكون عليه.))[3] لكن تبقى التحليلية غير مكتملة إذا لم نبرز, كيف أنّه على ضوء المُنفتح يمكن للآنية أن تحدّد مسارها داخل حياتها اليومية.و ذلك ما لا يتسنى لنا إلا من خلال إبراز الهيئة التي تكون عليها الآنية داخل الوجود-في-العالم.

---

[1] -Michel Haar, Heidegger et l'essence de l'homme, op, cit, p14.

*-"Ereignis "كلمة ألمانية استعملها هيدغر ليدل بها على "الحدث" و أحياناً "الخصوصية"كما سنرى لاحقاً و يترجمها بعض المفكرين بالعهد ((إن الوجود عهد إذن و ليس في ذلك أكثر من كونه يعهد بالإنسان إلى الوجود مقاما له و بالوجود إلى الإنسان راعيا له.)) أنظر:محمد محجوب ,هيدغر و مشكل الميتافيزيقا ,ص 63.

[2]- مارتن هيدغر, التقنية-الحقيقة-الوجود,تر محمد سبيلا و عبد الهادي مفتاح ,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء ,1995 ,صص 23- 24.

[3] - Martin Heidegger, De l'essence de la vérité, op, cit, p 85.

المبحث الثاني:فهم كينونة الدازاين انطلاقا من الكينونة – في– العالم:

1/ التحليل الأنطولوجي لظاهرة الكينونة – في– العالم:

ليس هناك شيء خارج نطاق الكينونة أو خارج المسار الكسمولوجي,حتى إن وجود الموجود ,يقوم أساساً على وجود روابط و علاقات بين الموجودات.و لما كان العالم هو المجال الذي تختلط فيه علاقة الموجود بالموجودات الأخرى ,والطبيعة /الكون* من ضمنها.لذلك سوف تكون عبارة الكينونة – في – العالم ارتكازنا في هذا المبحث.

يمضي هيدغر في تحليله لظاهرة الوجود –في– العالم , فيوضّح المعنى الإشتقاقي "للوجود–في–Être à" بإرجاعه من حيث المصدر إلى: ((innan,سكن,أقام,و « an » تعني:أنا قد تعودت,قد ألفت,قد اعتدت شيئاً ما..و هذا الكائن الذي من شأنه الكينونة– في بهذه الدلالة,نحن نخصّصه بوصفه الكائن الذي هو أنا نفسي في كل مرّة..إن sein ...متى فُهم بوصفه وجودانياً,إنما يدل على سَكَنَ عند...كان أليفاً مع...إن الكينونة– في هي تبعاً لذلك العبارة الوجودانيّة الصوريّة لكينونة الدازاين,الذي له الهيئة الماهوية للكينونة – في – العالم.))[1] يقول هيدغر.لكن ما هو هذا العالم الذي يقصده هيدغر؟هل هو مجموع ما يوجد داخل العالم من أشياء و موجودات؟

يظهر فهم هيدغر للعالم في الفقرة (21) و ما يليها من كتابه"الكينونة و الزمان" ,حين يُناقش تصور ديكارت للعالم على ((أنّه شيء ممتد*)) ,ليتحوّل ذلك الفهم معه (مع هيدغر) إلى مصطلح أنطولوجي

---

*–كان هيدغر دائما يُلح على ضرورة التمييز بين الكون كما تفكره الميتافيزيقا ,التي تقوم في الحقيقة على نسيان الكون في اختلافه عن الكائن ,و الكون كما يفكره هو (هيدغر).ولأجل ذلك كان يستعمل أحيانا لفظ die Seiendheit الكائنية للتعبير عن الكون كما تفكره الميتافيزيقا في مقابل الكون ككون , كما كان يستعمل أحيانا صيغة إسم الكون في الألمانية القديمة "das Seyn" للتعبير عن الكون كما يفكره هو ,و يبدو أنه لجأ–في النهاية– إلى أسم الخصوصية "das Ereignis" ليتخلّص من وطأة مفهوم الكون و شحنته الميتافيزيقية.أنظر:مارتن هيدغر,كتابات أساسية ج2, تر,اسماعيل المصدق ,المجلس الأعلى للثقافة ,القاهرة ,2002 ,ص 251 و ما يليها.

[1]– مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان ,ص 132.

*– يوضح ديكارت فكرته عن الشيء الممتد من خلال مثاله عن "قطعة الشمع" ,التي تحمل صفات معينة تتغير بمجرد تقريبها من النار.الأمر الذي يؤدي بالذات إلى طرح السؤال عن مدى اسناد صفة ما لجسم معين.؟يجد ديكارت أن الصفة الوحيدة التي يمكن اسنادها للجسم هي صفة الامتداد l'etendue ,يقول ديكارت في التأمل الثاني : ((لنأخذ مثلا هذه القطعة من

بحث يتعلق بالمكان ,بل إلى معنًى تواجدي سابق على الأنطولوجي ,يقول هيدغر ((إن المكانيّة ليست على العموم قابلة لأن يُكشَف عنها إلا على أساس من العالم ,و ذلك على نحو بحيث إن المكان يشارك في تقوّم العالم ,طبقاً للمكانية الجوهرية للدازاين ذاته بالنظر إلى هيئته الأساسية بما هو كينونة –في- العالم.))[1] فديكارت من خلال إثارته لمشكلة الوجود ,و بتأكيده على صفة الامتداد قد وقع في دور خانق ,لا يخرج عن تصور الموجود وجودًا حاضرًا ,و هو ((من خلال التخريج الجذري لل extensio من حيث هي praesuppositum لكل تعيّن يطال res corporea ,كان ديكارت قد هيّأ الفهمَ لنحو من القبلي ,الذي حدّد كانط من بعدُ مضمونَه على نحو أكثر نفاذاً.))[2] و هو بذلك قد أكّد على المعرفة الأونطيقية لوجود الموجود,و من ثمة عدم خروجه عن التصور الميتافيزيقي الذي عمل هيدغر على تقويضه منذ البداية.

إن ما بقي من الفلسفة الديكارتية ذا قيمة ,هو تلك الصلة بين "الأنا أفكر" و "الأنا موجود",ذلك ((أن وجود "الأنا أفكر" في جوهره هو موضعة مستمرة للعالم,و أن تحفظ الذات للعالم موضوعيته,يعني شرعنته validation,أي منح العالم بداهته الخاصة في أفق الإدراك – الحامل- لليقين من طبيعة وجوده,الإدراك إذن هو قدرة-مستمرة على الوجودperceptio=per-capio.))[3] بالمقابل,لم تستطع الفنومينولوجيا الهوسرلية ذاتها مجاوزة الدور الديكارتي ,و بقيت ظاهرة العالم عالقة هي الأخرى لدى هوسرل,خاصة بعد أن أحال العالم إلى القصد المتعالي.بل إن قارئ "الكينونة و الزمان" سرعان ما يكتشف أن خروج الفكر من ذلك الدور يستدعي إحداث انقلاب جذري على لغة الميتافيزيقا,و هو ما جعل هيدغر يدخل في مواجهة مع أهم الفلسفات الغربية المهيمنة آنذاك.

الشمع,ولم يمض على استخراجها من الخلية غير زمن قصير,هذه القطعة لم تفقد بعد حلاوة العسل الذي تحتويه,ولم تفقد كل أريج الزهور التي اقتطفت منها,فلونها و حجمها و شكلها أشياء ظاهرة للعين,هي جامدة,باردة,تُتنَاوَل باليد.إذا نقرت عليها خرج منها صوت...لكن بينما أنا أتكلم,إذا بها توضع قرب النار,فيتطاير ما بقي من طعمها,و تتلاشى رائحتها,ويتغير لونها,ويذهب شكلها,ويزيد حجمها,إذ تصير من السوائل...فلا ينبعث منها صوت مهما تنقر عليها,أتزال هي ذاتها بعد هذا التغير؟الحق إنها باقية))أنظر:رينيه ديكارت,تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى,تر,كمال الحاج,منشورات عويدات,بيروت,ط4, 1988,التأمل الثاني.

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 229.

[2]- المصدر نفسه,ص 208.

[3]- اسماعيل مهنانة, الوجود و الحداثة,الدار العربية للعلوم ناشرون ,ط1 ,2012 ,ص 66.

ينظـر هيدغر إذن إلى العالـم من حيث علاقتـه الوجوديـة لا الموجوديـة ,و هو ما يدل على وجـود الموجـودات ليس كأشيـاء بـل كـأدوات ,غير أن الأداة outil ((ليست مجـرد آلة إنمـا هي موجـود-في-متنـاول اليد,و ليس في وسع التأمـل النظـري أن يكشف لنـا عن حقيقـة الأداة ,و إنما تتكشـف الأداة من حيث طبيعتـها من خلال الاستخـدام.و من طبيعـة الأداة أنها تحيـل إلى غيرهـا من الأدوات ,و إلى الموجـود الذي يقـوم باستخدامها (أي الإنسان) ,و يعبّر ذلك على "نسـق الإحـالة".*))[1]

يـلاحـظ هيدغر أن العـالـم لا ينكشـف إلا من حيث هو أداة ,لكـن ذلك لا يعـني أن الأداة مجـرد شيء و فقط ,كما هو الأمـر عند سائر النظـريات الأنطـولوجية السابقـة ,بقـدر ما يعني إدراكـها من جهـة الاستخدام ,أي أن الآنيـة تكون في علاقـة مباشـرة مع أدوات العـالـم الكاشفـة لها. وعليه فالآنيـة عندما تـكشـف أي موجـود من جهة استخدامـه تكون قد اكتشفـت العـالـم.حيث يتـم ((الكشـف Erschliessen عند هيدغر أو "الانفتـاح" بإدراك الموجـودات داخل العـالـم في ضوء اهتمامنـا المستبصر, فالوجـود-في-العـالـم يتميـز بـما لديـه من قـدرة على تفهم العـالـم تتيـح للآنيـة الانفتـاح على الموجـود...و ليـس العـالـم الذي نهتـم بـه سـوى " العـالـم المنـفتـح" و به نكتشـف الطبيـعة المحيـطة ,و تصبح في متنـاول أيدينـا ,و تـؤلـف بذلـك شبكـة ينكشـف فيهـا العـالـم في الشمـول الأنطـولوجي لعناصـره.))[2]

إن تـأسيس "معنى العـالـم" على هذا النحـو يكـون عن طريق الأداة ,التي هي واسطة بين العـالـم و الموجـود,يقول "بول ريكور" في هذا الاتجـاه : ((لا توجـد مشكلـة معنى,إذا لـم تكن العلامـات هي الأداة ,و الوسـط و الوسيـط الذي بفضلـه يسعى الكائـن الإنسـاني لكي يتمـوضـع,و يسقط نفسـه و يفهـم ذاتـه.))[3] لكـن لا يجب أن يقـودنـا مثل هذا القـول ,إلى اعتبـار العلامـة مجـرد "شيء",بـل بالأحـرى ما تشيـر إليـه ,أو الدلالـة التي بموجبهـا يستطيـع الدازايـن وضـع إمكانـاتـه في العـالـم, و هو ما يعني أن الدازايـن و العـالـم

---

*- يشير هيدغر إلى أن "الأداة" هي موجودة من أجل غاية ما ,و تكون بنية "من أجل" هذه "تحيل" إلى شيء آخر ,بمعنى أن الأدوات –حسبه- تحيل إلى بعضها البعض,فأداة الكتابة مثلاً تحيل إلى ريشة الكتابة ,المحبرة ,الورق ,المنضدة ,المصباح ,الأثاث,...أي أن الأداة لا تحيل إلى أداة أخرى فقط و إنما إلى موجودات ,بحيث وُجد هذا الموجود من أجل موجود آخر ,و بذلك فهيدغر يقف على الضد من الفلسفات المادية التي جعلت الموضوع أسبق من الذات. أنظر: صفاء عبد السلام جعفر,الوجود الحقيقي عند هيدغر,المرجع السابق,ص 133 و ما يليها.

[1]- زكريا ابراهيم,دراسات في الفلسفة المعاصرة ج1,دار مصر للطباعة ,مصر ,د.ط ,1968,ص 403.

[2]- صفاء عبد السلام جعفر,الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر ,ص 133.

[3]- بول ريكور,صراع التأويلات ,تر,منذر عياشي , دار أويا ,طرابلس ,د.ط ,2005 ,ص 215.

كوحدة يشكلان الوجود-في-العالم من حيث هو وجود منفتح/منكشف.و منه فإن : ((العالم يتعولم داخل انفتاح "الهنا" Da,أما وجوده فسابق عن كل فهم,و لكنّه منسحب إلى الخلف,إن الوجود -في- العالم هو حركة الإنسحاب/التجلّي التي تجعل المنفتح ينفتح دون افتراض شيء في ذاته خلف ظاهرة العالم.))[1]

يريد هيدغر النجاح حيث أخفق سابقوه ,و هو إذ يذهب إلى التفكر داخل الوجود-في-العالم ,فهو يرمي إلى استنفاذ إمكانيات الآنية من أجل الكشف عن المعنى ,و تجاوز ذلك الموجود المادي الذي لا يهتم بوجوده ,و من ثمة الابتعاد عن الانشغال بما هو حاضر في العالم, ((و إذا كان أسلوب سلوك "الموجود-هناك" بإزاء الأدوات ,هو أسلوب "الانشغال" ,فإن أسلوبه بإزاء "الموجودات-هناك" الآخرين, هو أسلوب "الاهتمام".و هذا الاهتمام قد يظهر إما على صورة التكليف بتوفير ما ينبغي تقديمه إلى الآخرين أو على صورة مساعدتهم على أن يكونوا أحرارا في "همّهم".))[2] و هو ما يدل على أن الآنية لا تستطيع أن تعيش منعزلة عن الآخر. و بقدر ما يوجد الدازاين في العالم ,بقدر ما ينكشف الوجود "هماً",و هو ما يحيلنا إلى الهيئة التي يكون عليها الدازاين داخل الكينونة -في- العالم.

2/هيئة الدازاين الأساسية داخل الكينونة- في – العالم:

يُصبح العالم في أنطولوجيا هيدغر بُعدا من أبعاد الآنية,و تصبح ظاهرة الكينونة-في-العالم,ظاهرة أنطولوجية بالدرجة الأولى على خلاف ما اعتبرها هوسرل من كونها ظاهرة إبستيمولوجية ,ومنه فهيدغر يرى أن الآنية انكشاف دائم للعالم , يقول هيدغر في هذا الاتجاه : ((إن "الظاهرة" بالمعنى الفنومينولوجي قد عُيّنت على نحو صوري بوصفها ما ينكشف بوصفه الكينونة و بنية الكينونة.))[3] لكن ألاّ يقودنا مثل هذا القول إلى العودة إلى البحث عن الأصل الأوّلي الذي منه انبثق العالم؟ ,أي العودة إلى هيراقليطس و أنكسمانس و الفلاسفة الطبيعيين الأوائل ,أو بعبارة أدق إلى البحث في ثنايا التاريخ اليوناني القديم؟

يبدو أن هيدغر لا يجد نفعاً من العودة إلى الماضي, ذلك أن الموجود étant مرتبط بما يظهر و ما ينفتح من "العالم".مما يعني أن الدازاين كموجود مرتبط بالوجود,بل هو موجود - في- الوجود,و ما

---

[1]- اسماعيل مهنانة,الوجود و الحداثة,ص 42.

[2]- بوشنسكي, الفلسفة المعاصرة في أوروبا ,تر,عزّت قرني ,سلسلة عالم المعرفة ,الكويت ,د.ط ,1992 ,ص 221.

[3]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 147.

يبيّن ذلك نلمسه من خلال انشغاله بما هو موجود – في – العالم , يقول : ((إن الدازاين متى فُهم من ناحية أنطولوجية,إنّما هو عناية. و إنه من أجل أن الكينونة -في- العالم تنتمي إلى الدازاين من حيث ماهيّته ,فإن كينونته إزاء العالم إنّما هي من حيث الماهية انشغال.))[1]أي أن فهم العالم ينتمي إلى الموجود الإنساني الذي يفهم وجوده داخل العالم.و ما لم نفهم هذا الموجود – داخل- عالمه فإن بحثنا لا طائل منه.غير أن مثل ذلك الفهم يتعلق من جهة أخرى بالهيئة التي يكون عليها الدازاين في العالم ,و هذا بدوره يتطلب منا الكشف عن الخصائص الوجودية التي يختص بها وجود الدازاين-في-العالم,و هي عند هيدغر متمثلة في : "الوجدانية" أو"التأثر الوجداني" , "الفهم",و "الكلام "الذي يحيل إلى "السقوط".

لا ينظر هيدغر –بدايةً- إلى التأثر الوجداني على أنه حالة سيكولوجية ,بقدر ما ينظر إليه من حيث هو طريقة وجودية تهدف إلى تحقيق الانفتاح .و يبيّن ذلك من خلال ربطه للوجدانية بمقولتي "الخوف و القلق" ,حيث يختلف أحدهما عن الآخر ,فإذا كان ((الخوف مرتبط بشيء معين نخاف منه ,و شيء معين نخاف عليه ,فالقلق ليس مرتبطا بشيء معين ,و إن كنا نميّز فيه بين "منه" و "عليه"...إذ ما يقلقنا في القلق ليس أشياء حاضرة في الوجود العيني , بل إمكانية التحقق نفسها في هذا الوجود , و هي إمكانية خالية من كل تعيّن غير مجرّد كونها إمكانية.)) [2]

يتخذ هيدغر من تحليله للدازاين أو الآنية في علاقتها بالوجود ,المرسى الذي يتوقف عنده سؤال الوجود,و بما أن الدازاين هو وحده المتميّز عن غيره من الموجودات ,فهو الطريق الوحيد الذي يقود إلى فهم الكينونة.حيث يُصبح ذلك التميّز هو وحده الذي يكشف عن ((الكينونة-المُلقى-بها Geworfenheit.))[3]بحيث تشعر الآنية بأنها مقذوفة في العالم , و تكتشف وجودها من حيث هو وجود "منخرط"–في- العالم بوصفه "كائناً غريباً عن عالمه".بل كائناً يضيع في غياهب العالم المُتخفي وراء قناع المعرفة المادية ,التي تُعلي من سلطنة التقنية و قدرتها على احتواء الموجود ,بالمقابل يقف

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 136.

[2]- عبد الرحمان بدوي , الزمان الوجودي, دار الثقاف, بيروت,ط3, 1973 ,ص 171.

[3]-مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 267.

الدازاين مذهولًا أمام ذاته المغتربة ,بموجب ذلك ((يخفت تجلّي الموجود و يغرق في الخواء Nullité الظاهر لما ليس فيه اختلاف ,لما لم يعد إلا نسيًا منسياً.))[1]

يتطرق هيدغر بعد ذلك إلى "الفهم" ,بوصفه الطريق الذي يكشف عن إمكانيات وجود الآنية.إنّه ((بالفهم - يقول هيدغر- تفتح الآنية لنفسها مجال وجودها كما تفتح في نفس الوقت مجال الموجود الذي تلقاه داخل العالم فتصل إليه و يصبح في متناول يدها.))[2] أي يصير مكشوفًا و ظاهراً.

يُصبح الفهم بذلك شرط كل إمكانية وجودية للموجود-في-العالم, حيث ((إن كل تعامل أو كل حيازة للموجود ,و كل معرفة نظرية كانت أو عملية, لا تكون ممكنة إلا إذا كان للإنسان فهمًا للبناء الأنطولوجي للموجود سابقًا على مقابلته.))[3] و في هذا الصدد يقترب هيدغر كل الاقتراب من كانط الذي يذهب إلى القول بوجود معرفة قبلية أو فهم قبلي سابق عن كل تجربة, بل إنه لا يمكن تصور أي تجربة بدون تلك المبادئ الأولية.

يذهب هيدغر بعد ذلك إلى الحديث عن الكلام ,و هو نوعان:كلام أصيل و آخر زائف, ((و الكلام الأصيل هو الذي يصدر عن الآنية في حالة الوجود الحقيقي ,أما الكلام الزائف فهو الذي يصدر عن الآنية في حالة الوجود الزائف ,و لهذا السبب يوصف الكلام الزائف بأنه سقوط chute (verfallen))[4] . و هي الفكرة التي عبّر عنها هيدغر بفكرة "السقوط" أو "الكبوة"و ((ليس السقوط سوى الضياع فيما هو "حاضر" ,أي فيما وصفناه بالوجود- بالقرب- من être auprès .))[5] و بذلك يكون " الحاضر" هو ما يفتح الدازاين على مستقبله ,أو بعبارة أدق ,انفتاحة "الهنا" التي تحيل إلى تخارج الدازاين من خلال تزمنّه في العالم كما سنرى لاحقاً.

---

[1] -M. Heidegger, De l'essence de la vérité, op, cit, p 90.

[2]- مارتن هيدغر ,نداء الحقيقة ,صص 75-76.

[3] - Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, édition librairie philosophique, paris, 1967, p 78.

[4] - Maurice corvez, La philosophie de Heidegger,2 eme édition, presses universitaires de France, Paris, 1966, p 45.

[5]- مارتن هيدغر, نداء الحقيقة ,ص 107.

3/مقولات العالم من خلال اليومية:

نصل مع "هيدغر" من خلال ما سبق ,إلى حقيقة لا مندوحة عنها,أي القول إن الآنية موجودة دائماً بالخارج ,إلا أن ما تتقوّله هذه الآنية و تتكلّم عنه ,هو ما يمكن أن نعتبره مقولة أساسية لا يمكن اجتنابها .ذلك أن الآنية في حياتها اليومية ,غالباً ما تتصادم في تجربتها مع ما يسمّيه هيدغر بـ"**الوسطيّة** Die Durchschnittlichkeit" ,التي بموجبها ينفتح الدازاين على الآخرين. حيث تكون الوسطيّة بما هي مقام أنطولوجي, انكشافًا لوجود الآخر ,الذي يُصبح وجوداً ضمن "**الناس**" ,أو الـ"**هُم**". يقول هيدغر: ((إن الهُم صفة وجوديّة ,و هو ينتمي من حيث هو ظاهرة أصليّة,إلى الهيئة الموجبة للدّازاين...إن نفس الدّازاين اليومي هي نفس – الهُمْ .))[1] و عليه ,فالحديث عن الأمر الذي يحصل داخل الوسطيّة يقتضي الغوص داخل الحياة اليوميّة ,التي من شأنها أن تحدّد العلاقة بين الدازاين و الآخر.و بما أن الآنية لا يمكن أن تعيش منعزلة عن غيرها من الذوات,فإننا سنعود –مع هيدغر- إلى الفكرة التي عبّر عنها علماء الاجتماع من أمثال "دوركهايم" بقولهم إن "الإنسان كائن اجتماعي بطبعه" .

لكن ,إذا كان هيدغر يتجه نحو دوركهايم فإنه يوسع هذه العلاقة ليشمل "السلوك الإنساني",بحيث يكون ((سلوك "الناس" الخارجي هو الذي يُملي علينا سلوكنا,و بالتالي مشاعرنا الداخلية و أحاسيسنا الباطنة ,و يتغذى هذا السلوك على الثرثرة اليومية ,و ما يقوله الناس في مجالسهم.و باختصار,تصطبغ رؤيتنا للعالم و الإنسان و الوجود بنظرة الناس إلى هذا كلّه.))[2]و تعتبر الثرثرة بوصفها لغواً le bavardage من أبرز سمات الآنية –في-العالم ,((و اللغو عند هيدغر أسلوب تُخفي به الآنية مهارتها الأصلية في استخدام اللغة ,و هو أسلوب يفترض حالة أدنى للكلام ,تتخذ صورة الثرثرة...يُصبح اللغو إخفاءً و حجباً عندما يتحرك "الموجود-مع-اليومي" في حدود واسعة , يصطنعها الحديث المشترك ,و تكرار ما يقال. فيفقد الكلام سمة الانفتاح الأصيل للموجودات و تثبط عزيمة أي بحث.))[3]

---

[1]- مارتن هيدغر ,الكينونة و الزمان ,صص 256-257.

[2]- فؤاد كامل ,أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ,ص 199.

[3]- صفاء عبد السلام جعفر ,الوجود الحقيقي عند هيدغر ,صص 201-202.

تختلف نظرة الناس أكثر ,كلّما تمعنّا في حياتهم اليومية,حيث غالباً ما نجد هؤلاء الناس يثرثرون و يتكلّمون عن كل شيء,بالمقابل لا يعرفون أي شيء.ذلك أنهم في خضم الحديث الفارغ من كل معنًى ,يجدون أنفسهم منقادين إلى دوامة "**القيل و القال**" .يقول هيدغر في هذا الصدد : ((أن يكون شيء ما قد قيل,و أن يصير مقولاً على نحو واسع دون أيّة أرضية ,هو أمر يكفي لأن ينقلب الفتحُ إلى غلق...و تبعاً لذلك فإن القيل و القال منذ أوّل أمره هو...هو ضرب من الغلق.))[1] و هو ما يعني أن الانفتاح ينقلب إلى انغلاق ,مما يؤدي إلى غياب المعرفة الحقة و التساؤل البنّاء ,الذي يهدف إلى كشف اللغة و الكلام من ضمنها بوصفها وجودا حقيقياً .

يصل هيدغر من خلال الفهم الفاسد للحقيقة ,إلى "**الفضول** Die Neugier"* الذي يكشف بدوره عن الانشغال,أي انشغال الدازاين بالعالم ,و اهتمامه بوجوده -في- العالم,بل إن الدازاين بقدر ما هو مشغول,فإنه يحتاج إلى التعمّق في وجوده اليومي, من أجل استنفاذ كل ما هو جديد , و منه الانفتاح على إمكانية جديدة من إمكانياته المتعددة,يقول هيدغر: ((إن ما يميّز الفضول هو عدم المكوث ...هو لا يبحث عن فسحة يمكث فيها للتأمّل ,و إنّما عن الضجّة و الإثارة بسبب الجديد دومًا ,و بسبب تقلّب ما يلاقينا.و في عدم مكوثه,ينشغل الفضول بالإمكانية المستمرة للتشتّت Die Zerstreuung .**))[2]

لا عجب بعد ذلك ,في وصول هيدغر إلى نوع من الالتباس zweideutigkeit ((هذا الالتباس لا يمتد فقط إلى العالم,و إنّما أيضا إلى كينونة-الواحد-مع-الآخر بما هي كذلك,بل حتى إلى كينونة الدازاين إزاء ذات نفسه.))[3]و هو ما يكشف عن عجز الدازاين عن تبيان الاختلاف بين الوجود الزائف و الوجود الأصيل ,بل إن الدازاين يصل إلى مرحلة من الانحطاط Das Verfallen ,و فيه يسقط الدازاين و

---

[1]- مارتن هيدغر ,الكينونة و الزمان,صص 325-326.

*- الفضول Die Neugier و هي حب الإطلاع و الشغف بالجديد, و يكون فيه الدازاين منجذبا إلى ما هو حاضر و موجود.

**-التشتّت Die Zerstreuung يفهمها فيزان بمعنى التبديد و البعثرة و التشتيت.و يترجمها بـ"dispertion".

[2]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 331.

[3]- المصدر نفسه,ص 332.

ينغمس أكثر في الحياة اليومية الروتينية ,يقول هيدغر في هذا الشأن: ((إن الدازاين من حيث هو واقعانية في العالم,هو قد سقط بعدُ,بما هو منحطّ,من ذات نفسه,و هو ليس منحطّا إلى شيء كائن,به قد يصطدم أو لا يصطدم في مسار كينونته فحسب,بل إلى العالم الذي ينتمي هو ذاته أي كينونته.))[1]

المبحث الثالث:التزمّن بما هو الأفق الممكن لتأويل الكينونة –في–العالم:

1/ علاقة الكينونة بالزمان:

يعود "هيدغر" – في سبيل إعطاء مفهوم واضح للزمان- إلى الفلسفات السابقة,حيث يُصبح سؤال الزمان هو الأمل المنشود للوصول إلى جواب سؤال معنى الكينونة و منه انكشاف العالم من هو كذلك. و هو من أجل ذلك,يعود إلى "أرسطو" ,و "ديكارت", و"كانط", و " هيجل". بل و إلى "أوغسطين"...و غيرهم ,حيث إن كل فيلسوف يمثّل مرحلة حاسمة من مراحل تكوين الميتافيزيقا التقليدية,التي يحاول "هيدغر" تخطي مصطلحاتها. لكن ((إذا كان ثمة من إمكان لمجاوزة الميتافيزيقا على نحو ما , فإن هذا الإمكان إنما هو في تجذير الأفق الذي يتم بالنسبة إليه تزمين الوجود.و إذن فإن الوجهة الجديدة للفكر بما هي "الوجود و الزمان" ,لا يعني إضافة أطروحة جديدة عن الوجود. إنه لا يعني مواصلة للميتافيزيقا بقدر ما يعني الاختلاف عنها من خلال استنطاق هذا المؤشر الفاضح لها,و الصامت ضمنها :الزمان.))[2]

يقودنا الطريق الهادي لمفهوم التجاوز إذن,إلى البدء من "أرسطو" ,الذي بحث في ما إذا كان للزمان علاقة بالكائن أم لا ,و إلى "ديكارت" الذي ظلّ "كانط" من أتباعه ,و منه إلى "هيجل" ,و فكرته عن التاريخ لما له من دور أساسي في الزمان. هذا الأخير الذي أصبح مع هيدغر مرتبطًا بوجوده التاريخي ,و علاقته بالتاريخانيّة كمفهوم يقود إلى تبيان الاختلاف في نهاية المطاف.هذه هي الخطوط العريضة التي تُحدّد الخط التأويلي المبدئي لظاهرة الزمان عند "هيدغر".فما هو المفهوم الأساسي الذي ارتبط به الزمان عند كل هؤلاء؟

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 337.

[2]- محمد محجوب ,هيدغر و مشكل الميتافيزيقا ,صص 110-111.

يرتبط الزمان بادئ ذي بدء بالطبيعة أو الفيزيقا كما هي عند "أرسطو" ,و بالضبط بعنصر الحركة الذي يؤدي الدور الرئيسي في فيزيقاه. يبيّن أرسطو ذلك بقوله: ((في الزمن يحدث التوالد,الفساد,و التزايد,إنه في الزمن كذلك,هناك التغيّر,و التحوّل بالمقاييس التي تكون فيها حركة,هناك عدد لكل من هذه الحركات,و لهذا فالزمن هو عدد الحركة.))[1] و هو ما يؤكد أن الزمن الأرسطي لا يخرج عن الزمن الفيزيائي الذي يُقاس فيه الزمن بعدد الحركات ,التي بموجبها يكشف عن تحوّله وتغيّره.إن الزمان عند "أرسطو" ينحصر في "الآن" ,أو ما هو حاضر الذي يصير "ماضياً" كلّما تحرك الزمان إلى الأمام,و عليه ,فإن مفهوم الزمان الأرسطي لا يخرج عن كونه زماناً مرتبطاً بالموجود الحاضر ,و هو الإطار الذي فكّرت ضمنه الميتافيزيقا الكلاسيكية من قبل ,و من ثمة سقوطه في النسيان.فهل سيتخذ الزمان المسار نفسه في العصور اللاحقة ؟

يتساءل أوغسطين من جهته في مؤلفه الشهير "الاعترافات" عن الزمان ,ليصل في آخر تحليلاته إلى رد الزمان إلى أحوال النفس و متمثّلاتها (الذاكرة/الانتباه/التوقع) ,التي ترتبط بدورها بالأبعاد الزمانية الثلاث المتمثلة في الماضي,الحاضر ,و المستقبل. و بعبارة أخرى ,إن الزمان حسب أوغسطين يتعلق أساساً بما هو موجود في الذاكرة ,وبما يشير إليه الانتباه و ما تتوقعه النفس في المستقبل يقول : ((من ذا الذي يستطيع أن يقول إن المستقبل لم يأت في النفس بعد,إذا كان في النفس توقع المستقبل؟ ,و من ذا الذي يستطيع أن يقول إن الماضي ليس حاضرا بعد,إذا كان في الذاكرة ذكرى الماضي؟ , و من يستطيع أن يقول , إن الحاضر ليس له حيّز ,لأنه يمر في نقطة غير قابلة للقسمة, إذا كان ثمة انتباه فيه يمر ما سيكون حاضراً ؟.ليس المستقبل طويلا لأنه غير موجود, و إنما الطويل توقّع المستقبل,و ليس الماضي طويلا إذ هو غير موجود بعد,وإنما الطويل هو ذاكرة الماضي.))[2]

إذا كان "أرسطو" قديماً قد اتجه بالزمان نحو "علم الطبيعة" ,فإنّه مع بداية العصر الحديث ,نجد "ديكارت" يحرص حرصاً شديداً على ابقاء الفكرة الأفلاطونية القائلة ,بأن ما يهم في الزمان ليس تعاقب اللحظات ,بل هو شيء خارج الزمان. [3]و من ثمة,كان الزمان مع "ديكارت" – هو الآخر –

---

[1]-Aristote, Physique4, tr Dayan, textes choisis, PUE, 1966, p 224.

[2]- عبد الرحمان بدوي ,الزمان الوجودي,ص 98.

[3]- جان فال ,طريق الفيلسوف ,ص 154.

مجرّد تعبير عن الآنات .بمعنى "الحاضر" الذي يكشف عن الماضي ,بما هو لحظة عابرة تسير نحو المستقبل ,أو لما هو ماثل أمامنا كحضور.بالمقابل لا يُعبّر الزمان – في نظر هيدغر- عن الآن أو اللحظة كما هو مع أرسطو و ديكارت ,و إنّما يعبّر عن الحاضر الذي ينم عن "ماكان" ,و هو الماضي و عدم الحاضر ,الذي يكشف عمّا سيكون ,و هو المستقبل.بذلك تكون الهوة الموجودة بين الماضي و المستقبل ,هي المعنى الزماني للوجود.و يكون ((الزمان الحقيقي – مع هيدغر- ليس قيساً للآنات, و لكنّه تبعيد الأبعاد الزمانية .أي منحها الوجود الذي نلتقي به وجودًا لما كان ,أو وجودًا لما هو آت.و لكن ما نقصده في "وجود ما كان" و " وجود ما ليس بعد" ليس وجودهما الحاضر ,بل كحضورهما إلينا كعدم حاضرية. بهذا المعنى يكون الزمان خلوة الوجود بما هو وجود الحاضر ,و وجود عدم الحاضر الذي هو الماضي ,و وجود عدم الحاضر الذي هو المستقبل.))[1]

لا يرمي هيدغر -من وراء محاولته للكشف عن الزمان- إلى تبيان الاختلاف الكامن بين سؤال الكينونة و سؤال الزمان ,بقدر ما يريد أن يجعلهما سؤالا واحداً ,بحيث لا يقوم الثاني دون الأول,و العكس صحيح.و هذا ما يؤكده بقوله : ((إننا لا نسأل الكينونة وحدها و لا الزمان لوحده ,فنحن لا نستعلم أبداً عن الكينونة و لا عن الزمان,لكننا على العكس ,نستعلم عن علاقتهما المتداخلة و الحميمة و ما ينبثق عنها.))[2] و عليه فإننا لا نبالغ إذا قلنا أن "كانط" هو الفيلسوف الوحيد الذي تفطّن للرابطة الأساسية بين الكينونة و الزمان ,أو بالأحرى هو الفيلسوف الذي فكّر مع "هيدغر" في سؤال الكينونة و سؤال الزمان معاً ,و ما كتابه الذي خصّه بعنوان"كانط و مشكل الميتافيزيقا " لدليل على صحة ذلك.فما هو تفكير كانط فيما يخص الزمان ,و ما هي نقاط الالتقاء بينه و بين هيدغر ؟

يميّز كانط - في البداية – بين نوعين من الزمان:الأول يكون فيه الزمان ميتافيزيقياً,و يُفهم كـ((معطى قبلي,و فيه وحده يكون تحقّق الظاهرات ممكنًا,و يمكن لهذه أن تختفي كلّها معاً.أما هو نفسه {بوصفه شرط امكانها العام} فلا يمكن أن يُلغى.))[3] و في النوع الثاني,الترنسندنتالي ,لا

---

[1]- محمد محجوب ,هيدغر و مشكل الميتافيزيقا ,ص 122.

[2]- فرانسوا داستور ,هيدغر و السؤال عن الزمان ,تر,سامي أدهم,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ,بيروت,ط1 ,1993, ص 19.

[3]- عمانوئيل كانط ,نقد العقل المحض ,تر,موسى وهبة ,مركز الانماء القومي ,لبنان ,د.ط ,د.ت ,ص 64.

يكون الزمان موجودا في ذاته ,بل إن((الزمان ليس سوى صورة الحس الباطن,أي صورة حدسنا لذاتنا و لحالتنا الباطنة.ذلك أن الزمان لا يمكنه أن يكون تعيّناً للظاهرات الخارجية,فهو لا ينتمي لا إلى الهيئة,و لا إلى موقع,بل يعيّن على العكس علاقة التصورات بحالتنا الباطنة.))[1]هنا يكشف إدراك كانط للزمان — لأول مرّة في تاريخ الفلسفة- على وحدة أصيلة ,يرتبط بموجبها الزمان —بما هو ظاهرة وجودية- بالذات ارتباطاً ضرورياً,و هذا ما يدل على زمانية الذات و تناهيها.يقول كانط: ((إن جميع الظاهرات بعامة ,أي كل موضوعات الحواس هي في الزمان ,و تخضع بالضرورة لعلاقات الزمان...فالزمان ليس سوى الشرط الذاتي لحدسنا(البشري) الذي هو دائماً حسي ,أي الذي لا يكون إلاّ من حيث نتأثر (بالموضوعات) ,و هو في ذاته لاشيء خارج الذات.))[2]و هو ما يعني أن الزمان الكانطي يرتبط بالحس الداخلي للموجود ,الأمر الذي يكشف عن تنامي الزمان داخل الذات ,و هو الأمر ذاته الذي سيقودنا للحديث عن زمانية الذات.

يفترض كانط من أجل فهم علاقة الوجود بالزمان ,وجود عالمين متمايزين لا يقوم أحدهما دون الآخر ,فمن جهة نجد الوجود في ذاته Nomène ,و من جهة أخرى هناك الظاهرة ,حيث يكون وجود الموجود متضمنًا ,بصفة قبلية سابقة عن إدراكه للموضوعات الموجودة في العالم.و هذا ما يبيّنه فعل التأليف الكانطي الذي يستعين بدوره بالتخيّل ,الذي هو حركة - باتجاه - المستقبل يقول هيدغر: ((إن التأليف المحض يجب أن يوحّد قبلياً ,فما يوحّده إذن يجب أن يُعطى قبلياً...إن التخيل المحض يجب أن يرتبط جوهريا بالزمان,و هكذا فقط نكشف أن الخيال يقوم كواسطة بين الادراك المتعالي و الزمان.))[3] بمعنى , إن الخيال هو ما ينسج الفهم القبلي الذي يُنتَج عفوياً من تزمّن الدازاين ,في حين يكون الادراك بمثابة المقيّم لذاك الفهم في الواقع.لكن التخيل المتعالي بما هو شرط التأليف ,و بالتالي شرط المعرفة , سيوقع كانط — في النهاية - في شباك التصورات الميتافيزيقية التي تُعنى بالموجود. ((فالخيال المتعالي - كما يقول غادامير - هو القدرة المحيّرة التي تحملها الروح الانسانية,و التي يتعاون فيها الحدس,و الفهم,و التلقي,و العفوية,إن هذا الخيال أتاح لهيدغر أن يؤوّل

---

[1]- عمانوئيل كانط,نقد العقل الخالص,ص 66.

[2]- المرجع نفسه,الصفحة نفسها.

[3]- M. Heidegger, Kant et le problème de la métaphysique, op, cit, p254.

فلسفة كانط كميتافيزيقا المتناهي.))[1] رغم ما كان لكانط من دور في تهيئة الأساس الأولي لتحليل الزمان,ليبقى الزمان بحاجة إلى تأويلات أخرى من أجل الانتقال بـ"الوجود و الزمان" إلى "الزمان و الوجود" ,فهل سيسقط "هيجل" هو الآخر في فخ ميتافيزيقا الموجود ,و ينحو المنحى ذاته كما فعل سابقوه؟

يواصل هيدغر التفكير في علاقة الزمان بالكينونة ,لكن هذه المرة في علاقته مع التاريخ. ذلك أن وجود الكائن البشري تاريخياً لا يكون إلا كونه كائناً زمانياً , يقول هيدغر: ((يسعى تحليل تاريخانيّة* الدازاين إلى أن يبيّن أن هذا الكائن ليس "زمانياً",من أجل أنّه "يقف في التاريخ",بل على العكس من ذلك أنّه لا يوجد و لا يستطيع أن يوجد على نحو تاريخاني,إلاّ من أجل أنّه في أساس كينونته هو يكون على نحو زماني.))[2]و هو ما يبيّن بدوره أن زمانيّة الكائن لا تتعلق بالمكانة التي يحتلها ذلك الكائن في التاريخ ,و إنّما بسبب أنه زماني.الأمر الذي سينتهي بهيدغر إلى تشكيل معالم فلسفته الأولى في التاريخ ,ليكون بذلك الفيلسوف المتفرّد في إخراج سؤال الزمان إلى بعده التاريخي.إلا أن مثل ذلك المنحى لم يأت من فراغ,فالمتأمّل في تلك البذرة التاريخية الأولى ,سرعان ما يلاحظ تنفّس هيجل واثبًا بين ثناياه.فكيف ذلك؟

يحاول هيجل من خلال عرضه لمفهوم الزمان المحافظة على المفهوم الأرسطي في تصوره للزمان,ليكون الزمان بذلك مرتبطاً بالحركة (حركة الروح و الصيرورة في التاريخ) ,و هو ما يدل على إن ما أراده هيجل ,هو الوصول بالزمان إلى تاريخ وجوده ,و بشهادة هيدغر يكون ((هيجل هو المفكر الغربي الوحيد الذي كان يعنيه تاريخ الفكر.))[3] لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو :كيف ربط هيجل التاريخ بالزمان و الوجود ,و منه العالم ,و ما مدى تأثير ذلك على فكر هيدغر ؟

---

[1]- هانز جورج غادامير ,طرق هيدغر ,ص 147.

*- يرمي هيدغر من خلال تطرقه للتاريخانيّة Geschichtlichkeit إلى تبيان الاختلاف بين التاريخ كمفهوم عام يهتم بسرد الأحداث و الوقائع الحاصلة في الماضي ,و بين الواقع التاريخي المرتبط بالدازاين ,و هو من أجل ذلك ينحت ألفاظاً خاصة مستوحاة من البيئة الألمانية من قبيل:Ereignis(العهد/الحدث),Geschlecht(الجنس,العرق,المجتمع,السلالة)...الخ

[2]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 648.

[3] - M. Heidegger, Chemins qui ne mènent nulle part, op, cit, p42.

لقد دأب اليونان-كما سبق ذكره- على تصور الزمان انطلاقاً من "الآن"أو " اللحظة" ,إلا أنّه مع هيجل, يُصبح الزمان مرتبطا بالغاية التي من أجلها يكون الإنسان واعياً لوجوده.بل إنه لا وجود للزمان,ما لم يكن هناك تاريخ يُعنى بالوجود الإنساني.من هنا يحاول هيجل تفكير الوجود من خلال "السلبي" ,و هو ما لا يتوضح إلا بالولوج داخل الحركة التاريخية للروح ,يقول هيجل في هذا المقام: ((الروح هو تلك القدرة ما تملّى السلبي و دام مقامه فيه, و هذا المقام إنّما هو القدرة السحرية التي تقلب السلبي إلى كينونة.))[1]

لا يتصور هيجل التاريخ على أنّه ذلك التاريخ الذي يُعنى بمجموع الوقائع ,و الأحداث الحاصلة في الماضي ,بل ((إنّه التاريخ الفلسفي الذي يتحكم بالأحداث من وجهة نظر كلية ,و لا زمانية – بحيث يكون- العقل هو في الواقع جوهر التاريخ بالذات.إنّه يعتقد مع أنكساغوراس بأن العقل يسوس العالم , و بأن كل شيء في التاريخ أو في غيره ,قد جرى بصورة عقلية.فالتاريخ هو تطور لمنطق محايث ,لا تشكّل فيه الشخصيات التاريخية الكبرى سوى أدواته اللاواعية...أما ما يصنع قدرتهم فهو أن"غايتهم الجزئية الخاصة تحتوي على المضمون الجوهري,ألا و هو إرادة الروح الكلّي.))[2]و هو ما يعني أن تصور هيجل للتاريخ هو تصور خارج أطر الزمان. بحيث يكون العقل/الروح هو المسيّر الأساسي الذي بموجبه يتقدّم التاريخ بوصفه سلباً.

يتحرك التاريخ مع هيجل وفق منهج جدلي ,يفرّق بموجبه بين القضية ونقيضها و المركب منهما ,أي الصيرورة. وهو على إثر ذلك يبيّن أنّه, و كيف أنّه في الصيرورة يكمن كل تاريخ و كل وجود.بحيث يكون الوعي الذي يتوسطهما هو المفهوم الذي يقود إلى التفكير في الزمان ,من حيث هو السلب في حدّ ذاته,يقول هيدغر: ((الزمان هو السلبيّة "المجرّدة" ,و من حيث هو "صيرورة محدوسة" ,هو الاختلاف المتباين عن ذاته...الذي "يكون هناك" ,نعني التصوّر القائم برأسه,و بما هو شيء قائم و من ثمّ خارجي عن الروح, فإنه ليس للزمان أيّ سلطان على التصوّر ,بل التصوّر "هو على الأرجح سلطان الزمان".))[3]

---

[1]- هيجل ,فينومينولوجيا الرّوح,ترجمة و تقديم:ناجي العونلّي ,مركز دراسات الوحدة العربية,بيروت,ط1 , 2006 ,ص 140.

[2]- رينيه سرّو,هيجل و الهيجلية,تر أدونيس العكره ,دار الطليعة للطباعة و النشر ,بيروت ,لبنان , ط1 , 1993 ,ص 40.

[3]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 736.

إن علاقة التاريخ بالزمان والروح ,من حيث هي سلب السلب –حسب هيجل- يكمن في ماهيّتها ,يقول في هذا الشأن :((إذا كان هذا السلبي يظهرُ حينئذ في مبتدئ الأمر كلا تساوي* الأنا مع موضوعه,فإنه كذلك لا تساوي الجوهر مع ذاته.و الذي ظاهره أنّه حادث خارج الجوهر...و متى يكون الجوهر قد أتمّ إظهار ذلك , فإن الروح يكون قد جعل من كيانه كفء ماهيته,فالروح إنّما يكون لنفسه بما هو كذلك موضوعا...و الكينونة إنّما قد تُوسّطت على الإطلاق-إنها المضمون الجوهري الذي هو في- الحال ملك الأنا,و الهُوَويُّ Selbstisch أو هو المفهوم.))[1]

يتضح مثل هذا الطرح الهيجلي في الفقرة (82) من كتاب هيدغر "الكينونة و الزمان" ,الذي يكشف عن علاقة الدازاين الزمانية- من حيث هي علاقة أنطولوجية- بزمان العالم ,الذي يُظهر علاقة الروح بالزمان كما هي عند هيجل.لينتهي هيدغر إلى القول : ((إن الروح لا يسقط أولا في الزمان ,بل هو يوجد بوصفه تزمّنا أصليّا للزمانيّة.و إن هذه إنّما تُزمّن زمان العالم ,الذي في أفقه يستطيع "التاريخ" أن "يظّاهَر" بوصفه حدثاناً داخل-الزمان.))[2]

لكن لا يجب أن يقودنا مثل هذا التحليل إلى أن هيجل قد حاذ عن المسار الميتافيزيقي الذي تصوّر الزمان على أنّه "الآن" ,بل على العكس من ذلك ,فهو نفسه لم يخرج عن الإطار التقليدي الذي حصر الوجود في مجرّد الحضور,و الذي أدرك الزمان بوصفه "الآن" ,وعليه ((فكل ما تقوم به الفلسفة في شكلها الحديث,ابتداءً من ديكارت إلى هيجل ,هو أنها ستُحوّل الحضور إلى مثول أمام الذات ,التي تمثّل,و تُحوّل الموجود الأسمى إلى ذات تُدرك نفسها و تتمثّلها في المعرفة المطلقة.إنها ستحوّل الحضور و المثول إلى موضوع يوضع أمام ذات,موضوع سيكون خاضعاً للسيطرة التقنية لهذه الذات.حتى الجدل الهيجلي نفسه

---

*- يربط هيجل اللاتساوي بالسلبي ,و التساوي بالتفكير ,يقول :((أما التساوي الذاتي مع الذات فهو التجريد المحض,لكن هذا التجريد إنّما هو التفكير...لكن هذا التساوي مع الذات إنّما هو كذلك سالبية)) أنظر: هيجل, فينومينولوجيا الرّوح ,ص ص 158-160.

[1]-هيجل,فينومينولوجيا الروح,ص 143.

[2]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان ,ص 737.

"يضع الحاضر كنفي للحاضر الماضي المحتفظ به" ,وهو سيجعل التاريخ حركة لحاضر دائم , يتجاوز فيه الحاضر-الحاضرُ الماضيَ-الحاضرَ ,نحو مستقبل سيحضر.))[1]

يريد هيدغر أن يجعل سؤال الزمان يسير جنبًا إلى جنب مع سؤال الكينونة ,ليتحوّل بذلك السؤال التقليدي مع أرسطو ما هو الإنسان؟ إلى سؤال فنومينولوجي,لكن بمعنى مغاير لسؤال الفنومينولوجيا الهوسرلية ,الذي يحمل قصدية بين الوعي و موضوعه , حيث يعترف هيدغر: ((إنه يُحتاج إلى تفسير أصلي للزمان بوصفه أفقاً لفهم الكينونة انطلاقا من الزمانيّة بوصفها كينونة الدازاين الفاهم للكينونة.))[2]

يبقى مفهوم الزمان كما فكّرته الميتافيزيقا الغربية 'مُندرجاً ضمن مفهومه الفيزيقي الأرسطي ,الذي يربط الزمان بالحركة ,و ما ارتبط به من "آن" .كما يبقى هدف هيدغر دائما من استعانته للوجود من أجل تأويل الزمان ,و العكس ,مرهونا بمدى تخطي اللغة الميتافيزيقية الموجودة داخل قوافل الفكر الغربي القديم.و هو ما يستدعي الوقوف عند التجربة النيتشوية التي فكّرت في مسألة "العود الأبدي" ,و بعبارة "زرادشت" الذي ينطق على لسان "نيتشه" : ((كيف لا أحنّ إلى الأبدية ,و أضطرم شوقاً إلى خاتم الزواج,إلى دائرة الدوائر حيث يُصبح الانتهاء ابتداءً.))[3] و هو ما يحيلنا إلى "الزمانية" ,التي ستعبّر عن وقفة الدازاين النهائية داخل " اليوميّة" بوصفه كائنًا متناهياً.

2/الزمانيّة و تزمّن الدازاين:

تنحصر أصالة نظرية هيدغر المتعلّقة بسؤال الزمان,في توحيده بين الكينونة البشرية و الزمانية,و لأنه ينظر للزمان على أنّه تزمّن , ((فإنمّا يفتح للعيان إمكانية تزمّن جوهرية للزمانيّة.و معها يتهيّأ الفهمُ من أجل تزمّن أكثر أصليّة للزمانيّة.))[4] وعليه ,فلا يمكننا القول إن الإنسان كائن زماني,بل يجب علينا أن نقول إنه كائن متزمّن.و انطلاقاً من الزمانية يجب أن نفهم كينونة الدازاين ,الأمر الذي يقودنا إلى معاودة البحث داخل مشارب تحليلية الدازاين لكن من جهة زمانيّتها.

---

[1]- عبد السلام بنعبد العالي,هايدغر ضد هيجل (التراث و الاختلاف),دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ,بيروت,ط2, 2006,صص 52-53.

[2]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 72.

[3]- فريدريك نيتشه, هكذا تكلّم زرادشت, تر:فليكس فارس ,مطبعة جريدة البصير ,الاسكندرية ,د.ط ,1938 ,ص 198.

[4]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 428.

ينطلق هيدغر في محاولته لتحليل الزمانية من ظاهرة "الهم" sorge بوصفها الظاهرة المركزية التي تفرض نفسها على وجود الآنية ,و لما كانت الزمانية –بما هي معنى "الهم"- نقطة الانطلاق الأساسية لفهم زمانية الدازاين ,فإن "الهم" حسب هيدغر : ((يجمع بين التواجد,و الوجود الفعلي ,و السقوط,بحيث يرتبط التواجد "بالمشروع" الذي فيه تُلقي الآنية بنفسها على إمكانياتها التي لم تتحقق بعد.و ليس هذا إلا نوعاً من "تزمّن" المستقبل و الوجود بالفعل,أي كون الآنية ملقى بها هناك...على أساس الانقضاء الذي يمكن الآنية من أن توجد(أو تتواجد) بوصفها الموجود الملقى به...أما السقوط...فليس سوى الضياع فيما هو "حاضر" , أي فيما وصفناه بالوجود-بالقرب-من.))[1]

يتضح أن الزمانية عند هيدغر هي المعنى الأصيل للهم ,الذي يجب على كل تحليل الوصول إليه ,بل إنه في هذه النقطة بالذات يصل كتابه"الكينونة و الزمان" إلى ذروته. و منه وجب الغوص أكثر داخل البنية الزمانية للخصائص الوجودانية للآنية ,من أجل تحديد الاختلاف الكامن بين زمانية أصيلة ,من شأنها أن تعبّر عن الوجود الأصيل للآنية ,و بين زمانية غير أصيلة تكشف عن الوجود الزائف للآنية.غير أن مثل هذا الهدف لا يكتمل إلا بالعودة إلى التفكير داخل "زمانية الفهم" و"زمانية التأثر الوجداني" و"زمانية السقوط",يقول هيدغر: ((يجب على التأويل الزماني للدازاين اليومي أن يستند في البداية ,إلى البنى التي في نطاقها يتشكّل الانفتاح.و هي:الفهم و الوجدان و الانحطاط و الكلام.و إن ضروب تزمّن الزمانيّة,التي علينا أن نرفع النقاب عنها بالنظر إلى هذه الظواهر,إنّما شأنها أن تمدّنا بالأرضية اللازمة لتعيين زمانيّة الكينونة-في-العالم.))[2]

يُمثل "الفهم"-كما سبق ذكره- الطريق الكاشف عن إمكانيات وجود الآنية-في-العالم ,ذلك ((أن الموجود-في نظر هيدغر-الذي نطلق عليه اسم "الإنسان" ,يتميّز من بين جميع الموجودات بأنه يعيش في حال من "الفهم للوجود",ففي سلوكه و جميع مواقفه مع غيره من الموجودات ,إدراك لما يجعل هذه الموجودات موجودة,أي وجودها .و في اللغة التي يستخدمها يقوم "فعل الكينونة" إما على نحو صريح,أو على نحو مضمر ضمني.))[3]

---

[1]- مارتن هيدغر, نداء الحقيقة , ص ص 106-108.

[2]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 582.

[3]- محمود رجب, الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين, دار المعارف, القاهرة ,ط2 ,1986 ,ص 68.

لقد أوضح هيدغر أن الفهم سمة وجودية تتعلق بالآنية وحدها ,فهي "المشروع الأنطولوجي" الذي بموجبه تحفظ الآنية وجودها داخل أبعاد الزمان الثلاث ,بحيث تكون الأولوية للمستقبل على الحاضر و الماضي ,و يكون المستقبل هو لحظة تزمّن الدازاين,و يكون الحاضر انبثاقاً من المستقبل, ((و مثلما ينبثق الحاضر في وحدة تزمّن الزمانيّة من المستقبل و ما كان كذلك ,فإن الحاضر يزمّن نفسه بأصالة مماثلة مع أفق المستقبل و ما كان.))[1]هنا,ينفتح الحاضر داخل إضاءة "الهنا",و أن يكون الدازاين حاضراً,يعني أن الدازاين ينفتح على المستقبل, ((لكن انفتاح الدازاين على المستقبل يفترض مسبقاً **وجود اللحظة**,أي **حضور** الدازاين في الآن.و بالتالي فإن الحضور ليس مجرّد"مستقبل انقضى" ,و إنما انبثاقًا بذاته.إنه **احضار للعالم**,و انسحاب أمام...(العالم),أي ترك و استسلام لزمن العالم لكي ينفتح هو الآخر.))[2] أي إن ما يميّز الحاضر عن المستقبل هو "اللحظة" ,التي تصون الحاضر في المستقبل و في الـ"ماكان",يقول هيدغر: ((إن الحاضر المحفوظ في الزمانيّة الأصيلة,و الذي صار بذلك حاضراً أصيلاً ,هو ما نسميه اللحظة.))[3] و هو في هذا يتفق مع نيتشه الذي يكون الحاضر عنده متمثلا في اللحظة.

يتعيّن الدازاين مع هيدغر إذن,بوصفه حاضراً أصيلاً من خلال "اللحظة",و أن يكون حاضراً معناه أنّه يتوقّع ما سيأتي ,بل إن الآنية تنتظر وقوع ما توقعته سلفاً .و بذلك يكون ((الانتظار ضرب من المستقبل ,الذي يجد أساسه في التوقّع,مستقبل يتزمّن في أصالته الخاصة بوصفه استباقاً.))[4]يقول هيدغر.و على ذلك فهو يميّز بين فهم أصيل تكون فيها زمانية الدازاين مفهومة كانبثاق (مستقبل منبثق بوصفه استباقاً) و بين فهم غير أصيل يقوم أساساً على التوقّع الذي يتفرع منه الانتظار.

إن التمييز بين مستقبل أصيل و آخر غير أصيل يقودنا إلى التمييز بين حاضر أصيل (يتمثل في اللحظة) و آخر غير أصيل يتمثّل أساساً في الاستحضار. يقول هيدغر: ((على خلاف اللحظة بما هي حاضر أصيل,نحن نسمّي الحاضر غير الأصيل الاستحضار...و لكن من جهة أن الفهم غير الأصيل يستشرفُ مستطاع كينونته انطلاقاً مما يمكن أن يشغله,فذلك يعني أنّه يتزمّن انطلاقاً من

---

[1]- صفاء عبد السلام جعفر ,الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر ,ص 182.

[2]- اسماعيل مهنانة ,الوجود و الحداثة,ص 32.

[3]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 587.

[4]- المصدر نفسه,ص 586.

الاستحضار.أما اللحظة فهي تتزمّن على العكس من ذلك انطلاقاً من المستقبل الأصيل.))[1] و بذلك يمكن التمييز أيضا بين ماضي أصيل ,أي ما كان بوصفه معاودة .و ماضي غير أصيل ,أي نسيان ,و هو ما يجعل التذكّر أمراً ممكناً.يقول هيدغر مبيّنًا ذلك : ((نحن نسمّي كينونة-الكانية الأصيلة معاودة.إن الاستشراف غير الأصيل لأنفسنا على الإمكانات المستمدة من الأمر الذي يشغلنا,من خلال استحضاره,هو على ذلك ليس ممكنًا إلا من جهة أن الدازاين قد نسي نفسه...و كما أن الانتظار ليس ممكناً إلا على أساس التوقّع ,كذلك التذكّر لا يكون إلا على أساس النسيان.))[2] و هو من خلال هذا التمييز إنّما يريد أن يبيّن أن الزمانية لا تتحرّك من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل ,و إنما يكون المستقبل هو بداية التعاقب الزمني.

لا تنكشف الآنية بوصفها فهماً إلا في "الوجدان" ,الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحالة الوجدانية التي انقضت و أصبحت ما كان ,و هو ما يكشف بدوره عن العنصر الثاني المكوّن للزمانية ,بما هي "هم" .حيث تُدرك الآنية في غمرة وجودها الملقى به أنها تتأثّر وجدانياً,يقول هيدغر: ((إن الكينونة الملقى بها إنّما تعني على الصعيد الوجوداني:أن نجد أنفسنا على هذه الحال أو تلك,بذلك فإن الوجدان يتأسّس في صلب الكينونة-الملقى-بها.))[3]

يفهم هيدغر زمانية التأثر الوجداني - كما أشرنا إليه سابقا- من خلال تأثرين وجدانيين (الخوف و القلق) ,وبموجبهما تعلن الآنية عن وجودها بما هو وجود –نحو- الموت ,و هو ما يدل على تناهي الآنية التي تكشف عن معاناتها الوجودية داخل عالم متشتّت .فكيف ذلك؟

إن هيدغر حين تعرض لوجدانيتي "الخوف و القلق",إنما أراد أن يبيّن الاختلاف الكامن بين الانقضاء الأصيل و الانقضاء غير الأصيل,و منه التفكّر داخل المعنى الوجوداني لزمانية الخوف بما هي توقّع , و التي تعني معاودة تفكير الآنية في وجودها من حيث هو وجود منقضي ,و هو ما يعبّر عن الخوف غير الأصيل. يقول هيدغر: ((إنّ من شأن توقّع ما أن ينتمي مع ما سبق إلى القوام الزمانيّ و الوجوداني للخوف,لكن

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 588.

[2]- المصدر نفسه,صص 588-589.

[3]- المصدر نفسه,ص 590.

ذلك لا يعني بديّا سوى أن زمانيّة الخوف غير أصيلة.))[1]إن الآنية في تخوّفها من شيء يهدد وجودها تتوقّع إمكاناتها في المستقبل ,مما يجعلها تنشغل بالخوف من حيث هو الموجود الذي يُستحضر أمامها كوجود قلق.الأمر الذي يفرض على الآنية الانتقال من حالة الخوف إلى حالة القلق ,من حيث هي الحالة الوجدانية التي بموجبها تحاول الآنية الخلاص من عالمها المشتّت الضائع ,و تحقيق إمكاناتها الحقيقية بما هي وجود –في-العالم.

يصل هيدغر إلى القول إن القلق يظهر من خلال "التصميم"الذي يعبّر عن حقيقة الآنية و أصالتها,و من خلاله تتخلّص الآنية من تشتّتها و ضياعها في عالم الـ"هُم" ,ومنه يكون ((التصميم أو الوجود الذاتي للآنية-هو الذي- يحررها لعالمها و لإمكان وجودها,و وجود الآخرين المشتركين معها وجوداً حقيقياً, استناداً إلى أن الوجود المصمّم يكشف عن البنية الأساسية للآنية ,من حيث هي وجود -في-العالم.))[2] من هنا ,و من خلال تحليل هيدغر لزمانيّة الفهم التي تنطلق من المستقبل ,و زمانيّة التأثر الوجداني التي تعود بالآنية إلى ما كان و انقضى .يأتي العنصر الثالث المكوّن لظاهرة "الهم",أي زمانيّة السقوط التي تنطلق من الحاضر ,و فيها يعود هيدغر إلى مقولات العالم اليوميّة التي تتجلى أساساً في "الفضول" ,الذي يعبّر بدوره عن لحظة سقوط الآنية في الانشغال بإمكانيات العالم ,و منه هروب الدازاين و انفلاته من الحاضر المنفتح على المستقبل و ما كان ,إلى قدره المحتوم الذي يسير به نحو الموت, يقول هيدغر: ((إن أصل "فرار" الحاضر بمعنى الانحطاط في الضياع ,هو الزمانيّة الأصليّة,الأصيلة ذاتها ,التي هي ما يجعل الكينونة الملقى بها نحو الموت ممكنة.))[3] و هو ما يسمح بحضور المستقبل بوصفه حاضراً,و مثول الفضول بوصفه انغلاقاً.حيث ((إن الفضولي –حسب هيدغر- يعيش في حاضر فاسد,كل همّه فيه هو الإحضار...و بهذا يظل بعيداً عن الحاضر الحقيقي الذي ينبع من استباق إلى المستقبل ,و تكرار لما كان و انقضى ,و لهذا كان الفضول حفرة بلا قرار.))[4]

يريد هيدغر من خلال التحليل السابق ذكره أن يقوم بقفزة نوعية تتحدّد بموجبها الزمانيّة كتزمّن ,تزمّنًا يجعل الموجود ذاته مصمّمًا على استباق وجوده بما هو مشروع –نحو- الموت ,فالموت وحده يستطيع

---

[1]-مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 592.

[2]- صفاء عبد السلام جعفر,الوجود الحقيقي عند هيدغر,ص 373.

[3]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 603.

[4]- مارتن هيدغر ,نداء الحقيقة ,ص 114.

أن يضيء للموجود عالمه .هذا العالم الذي يكون مسرحًا كاشفاً للعبة الوجود مع الموجود ,و بعبارة هيدغر : ((إن اللعب الذي يأخذنا نحن البشر ,الذين لا نكون بشراً إلا بقدر ما نحاذي الموت ,الموت الذي يستطيع ,كونه إمكانية الوجود العظمى,أن يضيء الوجود و حقيقة الوجود كما لا يضيئه أي شيء غيره.الموت هو هبة تظل خارج نطاق الفكر.))[1]

يبدو أن كشف هيدغر لإمكانية الموت من حيث هي حقيقة وجودية لازمة عن كل وجود للموجود ,هو ما سيفصح عن فكرة التناهي ,ومنه فإن هيدغر يعود إلى الأسئلة الثلاث التي طرحتها الفلسفة الكانطية قبلاً. فكون الإنسان ((يسأل:ماذا يمكن أن أعرف ؟, معناه أنه يسأل ماذا لا أستطيع أن أعرف ؟ و هذا يكشف عن تحديد أساسي لقدرته على المعرفة.و أن يسأل:ماذا يجب أن أفعل؟, فهذا لا يتضمّن:ماذا لا يجب أن أفعل فحسب وإنّما يتضمّن أيضا نقصًا ذاتيًا.و أن يسأل ماذا أستطيع أن آمل؟فهذا يتضمّن الرجاء و التوقع...و لذلك فكل سؤال من هذه الأسئلة ,في مجموعها,تكشف عن التناهي الأساسي لمن ينشئ بهذه الأسئلة الميتافيزيقا.))[2]

يكتمل تحليل الزمانيّة من جهة اليوميّة ,بزمانيّة الكلام من حيث ارتباطها باللغة ,يقول هيدغر: ((إنّه انطلاقًا من زمانيّة الكلام...إنّما يمكن أن يتم ايضاح "نشأة" "الدلالة" ,و جعل إمكانية تكوّن التصوّر قابلة للفهم على الصعيد الأنطولوجي.))[3] و هو ما سيحيل إلى زمانيّة الكلام و علاقتها بالفهم اللغوي الذي سيتم تبيانه في الفصل الثاني.

*** يتحرك خطاب هيدغر من بدايته حتى نهايته -على إثر تحليلنا السابق- نحو محاولة تبيان الاختلاف بين الوجود و الموجود ,و نقل السؤال الميتافيزيقي:ما هو الموجود؟ إلى سؤال أكثر استجلاءً و توضيحاً للمعنى. ما جعل هيدغر منذ فاتحة مؤلف "1927" يستدل بنص لأفلاطون من محاورة السفسطائي,يقول ((من الجليّ أنّكم قد ألفتم بعدُ طويلاً ,ما تعنون على وجه الدقّة متى استعملتم لفظة "كائن",على أنّ ما ظننّا أنّنا فهمناه على الحقيقة,إنّما نحن الآن منه في حرج شديد.))[4] و يريد هيدغر

---

[1]- مارتن هيدغر, مبدأ العلة ,ص 124.

[2]- محمود رجب, الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ,ص 67.

[3]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان ,ص 605.

[4]- المصدر نفسه,ص 47.

من خلال استحضاره لنص أفلاطون ,أن يحيد بالفكر المنغلق على ظلال الميتافيزيقا ,من أجل ايقاظ و استعادة الفهم المتعلّق بسؤال معنى الوجود. و ما ينجر عنه من سؤال عن الزمان بوصفه الأفق الممكن لكل فهم للكينونة في كليّتها.

إن الرهان الأكبر الذي يجب على كل بحث تفكّره يتعلق حسب هيدغر ,بضرورة التساؤل البنّاء عن معنى الكينونة من حيث علاقته بالدازاين. من أجل ذلك اتخذ هيدغر من الفنومينولوجيا منهجاً ملائماً ,من شأنه أن يؤكد به على ضرورة الفهم الأنطولوجي.لكن و في خضم تحليلاته الفنومينولوجية يتوقف عند مسألة العالم ,التي بقيت حبيسة القصد المتعالي. الأمر الذي جعله يتجه إلى وجهة مغايرة لما كانت عليه الفنومينولوجيا مع واضعها هوسرل , ليتجه معه الطرح الفنومينولوجي إلى طرح أنطولوجي, فنومينولوجي ,يتخذ من تأويلية الدازاين نهاية موسومة لكل سؤال .لكن الأمر لا يتوقف عند الفنومينولوجيا التأويلية و فقط ,بل يتعداها إلى البحث ,من سؤال الوجود إلى السؤال عن حقيقة الوجود ,و الاستعانة بمنحى مغاير لما كان عليه مؤلف "الكينونة و الزمان". فما هي هذه الوجهة الجديدة؟

الفصل الثاني

الأبعاد الأنطولوجية لإشكالية اللغة

تمهيد

المبحث الأول:الكلام و اللغة داخل العالم

المبحث الثاني:الفن و الحقيقة كانكشاف للعالم

المبحث الثالث:اللغة و الشعر عند هيدغر

تـمـهيـد:

لـم يعـد التفكير داخـل مؤلف "1927" كافيـاً لـاستجلاء معنى الكينونـة و توضيـحـها ,ففي لجّـة التـفكيـر الأنطـولـوجي ,يتفطّـن هيدغر إلى أن بـحثـه المتواصل ,و ما ينجـر عـنه من مقـولات أسـاسيـة,يكـاد يكشـف عن قبـول ما تـم تـقويضـه من قـبل.حيث إن لغـة "الكينـونـة و الزمـان" قـد سـقطت هي الأخرى في فـخ الميتـافيـزيقـا,مـا جعلـه يـعدل عن نشـر جزئـه الثـاني المتعلّـق بـ"الزمـان و الكينونة".و منـه, البحث من جديـد, على طريـق آخـر يكـون أكثـر عمقـاً و وضـوحـاً لفهـم سـؤال معنى الكينـونـة.

يلتـفت "هيدغر الثاني" بـمـوجب ذلك إلى مسـاءلـة اللغـة* ,من حيث هي المثوى الأخـيـر الذي يكـشـف عن لا تـحجّـب الوجـود ,و بـسـط نـوره وأشعّتـه ,بـل هي بمثابـة الحبل الذي يُنقـذ العـالـم من التحجّب و الظـلام.و هو الأمر الذي جعـل هيدغر يـبدأ من جديـد بمساءلـة المفهـوم الميتـافيـزيقي اللغـوي ,و تبيـان مدى إخفاقـه عن إدراك اللغـة في علاقتـها الأساسيـة مع حقيقـة الوجـود.من أجـل ذلك يعـود هيدغر إلى "أرسطو" الذي فهـم اللغـة انطلاقـًا من ((الإبـانـة أو الإظهار,أي جعـل شيء يظهـر و يتبدى,أي يـأتي إلى اللاخفـاء.و عليه فإنهـا تكمن هي بدورهـا في الكشـف,في الـ aléthia ...غير أن أرسطو لـم يعمـل على بسط و تـأسيـس العلاقـة بين الإبانـة و ما تبيّنـه,و هذا مـا أدى إلى طمـس هذه العلاقـة ,ثـم سقوطهـا في طي النسيـان.وهكذا بدل النظـر إلى اللـغـة انطـلاقـًا من الإبـانـة ,سيسود في الفكـر الغربي النظـر إليهـا انطلاقـاً من الدلالـة ,بصفتها العلاقـة التي تقـوم بين العلامـة و مدلولـهـا.))[1] و هو بذلـك (أرسطو) لـم يخـرج عن دائـرة المـوجـود الذي حصـرتـه الميتافيزيـقا الكلاسيكيـة في مجـرّد الحضـور و التمثّـل.فهـل سيكـون المسعى ذاتـه الذي استهدفتـه الفنومينولـوجيا الهوسرليـة منذ تفكيـرها في "مسـألة العـالـم" ؟

---

*- سبق أن طرح هيدغر مسألة اللغة في الفقرة (34) من كتابه العمدة "الكينونة و الزمان" ,في خضم حديثه عن "الكلام" بوصفها ظاهرة وجودية تسبق اللغة ,ذلك ((أن الأساس الوجوداني-الأنطولوجي للغة هو الكلام)) أنظر: مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان, ص 311. كما يجب التنبيه إلى أن اللغة التي يقصدها هيدغر ليست عبارة عن صوت أو علامة,أو هي وسيلة للتعبير و التواصل مع الآخرين كما هي عند اللسانيين بـل ((إن مفهوم اللغة هذا مضاد للألسنية التي تنتشر في كل مكان , و التي تضع اللسان في خدمة عالم محدّد تكنولوجياً أي عالم العقول الإلكترونية و النواظم الآلية, التي تواصل تدمير اللغة)) أنظر: Henri Meschonnic,Le langage Heidegger ,écriture collection par Béatrice Didier,1re édition, presses universitaires de France,1990,p 351.

[1]- مارتن هيدغر, كتابات أساسية ج2 ,ص 245.

تتعلق مسألة اللغة عند هوسرل بـ "قصدية الدلالة" ,التي اعتبرها المرسى المثالي للغة.و هو من أجل ذلك يفصل منذ البدء بين نوعين من العلامات : العبارة و الإشارة.كما يميّز بموجب ذلك بين المعنى و اللامعنى ,بحيث تكون العبارة بما تحمله من دلالة ذات معنى,تستهدف قولا محدّداً ,و تكون الإشارة بما تشير إليه خالية من المعنى و القصد. يقول دريدا في هذا المجال : ((إن العلامات التي تُؤخذ على جهة الإشارة Anzeichen (علامات فارقة,أمارات,إلخ) ,لا تعبّر عن شيء ,اللهم إلا بملء وظيفة الدلالة,فضلا عن وظيفة الإشارة.))[1]

يواصل هوسرل التفكير في اللغة من خلال "العلامة الصوتية" ,ومنه حضور الصوت ,الذي يتعلّق بالذات في الموضوع الماثل بوصفه ظاهرة معطاة ,و بذلك يكون ((الصوت الفنومينولوجي-على حد قول دريدا- هو اللّحمة الرّوحية التي تستمر في الكلام ,و في القيام على نفسها-الإنصات إلى نفسها- عند غياب العالم.و بالطبع ,إن ما ننسبه إلى الصوت ننسبه إلى لغة الكلمات,إلى لغة مؤلفة من وحدات-اعتقدنا أنها لا تُردُّ و لا تتحلّل-بها يكون التئام المفهوم المدلول ,و "المركّب الصوتي" الدال.))[2] هذا الالتئام الذي ينمّ عن القرب بين الدال و المدلول ,هو ما يجعل الفهم الميتافيزيقي محصورا داخل مقولة الحضور ,بما هو المعنى المميّز لتاريخ الأنطولوجيا الكلاسيكية كافة.

يُحاول هوسرل مدّ فكرته عن "الصوت" إلى بُعده الأقصى ,من حيث هو "تعالي" ليصل إلى القول : ((إن التعالي الظاهر للصوت ,إنّما يعود إلى أن المدلول الذي هو من ماهية مثلية دوماً ,و الدلالة "المعبّر عنها" حاضرة فوراً عند فعل العبارة -بحيث-يقوم هذا الحضور الفوري على أن "الجسم" الفنومينولوجي للدال ,يبدو و كأنّه يُمحى في اللحظة التي تولّد فيها...إن هذا الإمّحاء للجسم المحسوس و لخارجيّته , إنّما هو بالنسبة إلى الوعي هيئة الحضور المباشر للمدلول بعينها.))[3]وهو ما يؤكد أيضاً أن هوسرل رغم تفكيره في اللغة من زاوية الاختلاف (العلامة/العبارة),إلا أن ذلك لم يسلمه من الوقوع رهينة التمثّل الذي يفهمه بوصفه استحضاراً.

---

[1]- جاك دريدا,الصوت و الظاهرة,مدخل إلى مسألة العلامة في فنومينولوجيا هوسرل,ترجمة و تقديم فتحي إنقزّو,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء-المغرب,ط1, 2005,ص 49.

[2]- المرجع نفسه ,ص 42.

[3]- المرجع نفسه,ص 127.

يبلغ التفكير اللغوي ذروته-بما هو تفكير داخل قوالب الفكر اللغوي الميتافيزيقي- مع "هومبولت" , الذي يميّز بدوره بين "الحس اللغوي الداخلي" و "الصوت" ,لتكون ((اللغة هي الأداة التكوينية للفكر,إذ تصبح الفعالية الفكرية-و هي ذهنية بالكامل و داخلية بالكامل ,و تمر من خلال الصوت بلا أثر إلى حدّ ما- ظاهرة في الكلام و مفهومة للحواس,لذلك فإن الفكر و اللغة كيان واحد.بيد أن الفكر مقيّد بطبيعته إلى ضرورة الدخول في اتّحاد مع الصوت اللفظي ,و إلا فليس بوسع الفكر أن يحقق الوضوح ,و ليس بوسع الفكرة أن تصبح مفهوماً.))[1]

يحاول "هومبولت" بذلك أن ينفذ إلى جوهر الصوت الداخلي للروح ,التي بموجبها يكون الصوت مسموعا ,و قادرا على تمثيل الفكر كلاماً .و على إثر ذلك ,تصبح ((اللغة عمل ذهني متكرر دائما لخلق الأصوات المنطوقة ,القادرة على التعبير عن الفكر -حيث- يكمن جوهر اللغة في عملية إنتاجها الفعلي.))[2] و هو القول الذي يسايره هيدغر إلى حد ما.

يوجّه هيدغر-على إثر ذلك- مسألة اللغة وجهة قد ظلت غريبة عن المسار الميتافيزيقي ,بما في ذلك المسار الألسني و المسار الفنومينولوجي ,وجهةً ارتبطت فيها اللغة بالوجود و الفكر ,لتصبح اللغة بمثابة المصباح الذي ينير الوجود .و يصبح الإنسان لا يتكلّم اللغة ,بل اللغة هي التي تتكلّم من خلاله و تستنطقه بواسطة الكلمة : ((إنها البعد الأساسي لإقامة الإنسان على الأرض ,بل هي "الشعر الأصيل" الذي يمكن من تجميع الاختلاف بين العالم و الأشياء,بين الانفتاح و الأرض,بين التحجّب و اللاتحجّب.و اللغة بهذا المعنى تُعلّم الإنسان الإنصات إلى النداء,كما تعلّمه الكيفية التي يتعيّن عليه أن يكون بها في العالم ,أي يسكن .و بما أن اللغة بناء و "تأسيس" للوجود الإنساني و للتاريخ ,فهي نفسها "الشعر" في معناه الجوهري.))[3]

يدخل هيدغر من خلال تجربته اللغوية –بما هي تجربة شعرية ,ينكشف بموجبها الفن انفتاحاً لحقيقة العالم- في صراع محتدم و مشروع ,بين العالم و الأرض ,بين النور و الظلام ,بين الخفاء و

---

[1]- روي هاريس و تولبت جي تيلر ,أعلام الفكر اللغوي ج1 , تر أحمد شاكر الكلابي ,دار الكتاب المتحدة,ط1, 2004 ,ص231 .

[2]- المرجع نفسه,ص 228.

[3]- إبراهيم أحمد ,أنطولوجيا اللغة ,الدار العربية للعلوم ناشرون,بيروت,ط1, 2008 ,ص 67.

اللاتحجّب المتسترة وراء المفاهيم المنطقية و النحوية .و هو من أجل ذلك ينعرج على الكل ,ليبزغ فجر براديغم جديد للغة ,يكون فيها الدزاين كائناً تأويليًا بالدرجة الأولى أكثر منه كائناً عاقلاً.

المبحث الأول: الكلام و اللغة داخل العالم:

1/تزمّن الكلام بما هو أفق الفهم اللغوي:

يبدو أن انفلات المقولة الأساسية داخل كتاب "الكينونة و الزمان" -من التفكير في سؤال معنى الوجود , و ما ينجر عنه من سؤال عن الزمان ,إلى التفكير في "الأساس الماهوي" ,الذي بموجبه تكون حقيقة الوجود قائمة- هو ما جعل هيدغر يتفطّن إلى " مسألة اللغة" ,من حيث هي أولاً "ظاهرة كلام" معبّرة عن ماهية الدازاين ,من جهة وجودانيّته الأنطولوجية .يقول هيدغر: ((إن الإنسان يكشف عن نفسه من حيث هو الكائن الذي يتكلّم,وذلك لا يدل على أنّه يختص بإمكان الإنباء الصوتي,بل إنّ هذا الكائن هو يكون على نمط الكشف عن العالم و عن الدازاين.))[1]معنى ذلك أن هيدغر يتحاشى المفهوم السابق للغة ,التي يكون فيها الكلام منسوبًا إليها بوصفه تعبيراً ,ليُصبح الفهم متعلّقًا بظاهرة الكلام من حيث هي البدء القبلي للغة ,الذي يكشف عن وقوع الدازاين في العالم. لكن ,إذا كان الكلام من حيث هو كذلك , يكمن في تحليلية الدازاين المنفتح على العالم,يكون الكلام أيضاً منوجداً في العالم بطريقة ما.وعليه فالسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو:كيف نفسّر هذه البنية الوجودانيّة — الأنطولوجيّة لواقعة الكلام ؟أو بعبارة أكثر دقة : من يتكلّم فينا؟

لقد وصل هيدغر في مؤلف "1927" إلى نتيجة مفادها أن الدازاين مقذوف به وسط الناس و الآخرين,وبموجب ذلك يكون عالم الناس هو المجال الذي يستمد منه الدازاين تزمّنه .و هذا ما يفسر أن التزمّن يحصل في شكل كلام أو حوار,و حتى نتكلّم يجب أن نسمع كلامنا الذي نحن بصدد قوله ,كما يتطلب إنصاتاً لما يُقال أو ما نقوله. و يسمّي هيدغر هذه العملية الكلامية بـ" ***القولة*** " ,يقول : ((قول "القولة "يتوجه إلى الإنسان,الذي لا يوجد إلا من حيث أنه يُنصت إلى القولة ,و أن ننصت إلى قولة اللغة يعني أن نترك قولتها تُقال لنا.إننا لا نستطيع أن نتكلّم انطلاقاً من اللغة ,إلا لأننا سبق أن أنصتنا

---

[1]- مارتن هيدغر ,الكينونة و الزمان ,صص319-320.

إليها.))[1] هذا ما يكشف بدوره عن الدازاين ,من حيث أنه لا يستطيع الإصغاء والتكلّم في وقت واحد ,بل إن أحدهما يسبق الآخر,و عندما نصغي للقولة فإننا نكون على استعداد لفهم ما يُقال .و منه ((فإننا نسمع تكلّم اللغة-الذي هو- قول القولة كبيان.تكلّم اللغة هو انفراج الكون و انكشافه.))[2] و بموجب ذلك,يُفرّق هيدغر بين "المتكلّم" الذي يتكلّم ,و "التكلُّم" من حيث هو الكاشف عن اللغة ,و"الكلام" من حيث هو واقعة تنبثق عن المتكلّم و التكلّم.هذا الأخير (التكلّم) الذي يكشف بدوره عن قدرة الدازاين على "ترك" الموجود يقول قولته.يقول هيدغر: ((إذا كان التكلّم كإنصات إلى اللغة ,يترك القولة تُقال له,فإن هذا الترك لا يمكن أن يتم إلا بقدر ما تكون ماهيتنا قائمة داخل القولة.إننا لا نسمعها إلا لأننا ننتمي إليها...و في القولة يحدث ذلك المنح,لأنه يجعلنا نبلغ القدرة على التكلّم.إن الأساسي" das wesende" في اللغة يكمن إذن في القولة المانحة.))[3] حيث تختص هذه القولة بالدازاين الموجود – قرب- الأشياء -في-العالم دون غيره من الموجودات.هذه الخاصية هي التي تُمكن الدازاين من معرفة ماهية الموجودات المحيطة به في العالم.

ينتمي التكلّم من حيث هو الطريق الموصل للغة إلى ما يسميه هيدغر بـ"حدوث اللغة" ,التي بموجبها تنكشف اللغة في "القولة" من حيث هي قول و إظهار و إبانة .يؤكد هيدغر ذلك بقوله : ((قول القولة هو إبانة ,و بالتالي إظهار الكائن.كما أن القول في معناه الأصلي ليس هو التكلّم البشري,بل هو ما يسبقه بكيفية ما ,و يجعله ممكنًا .و منه فالإبانة في معناها الأصلي ليست فعلًا بشريًا ,بل هي إظهار الكائن الذي يحدث في قول القولة.))[4] و هو ما يعني إن تكشّف الموجود أمام إمكانياته ,و إمكانيات العالم المحيط به ,مرتبط بما تدل عليه القولة وما تُظهره.الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن الكيفية التي بموجبها يكون الكلام كاشفا للغة ؟,أي كيف يكون الكلام –بما هو الطريق المفتوح لفهم ما تريد اللغة قوله- طريقا لانفتاح اللغة؟

يتمفصل الكلام بوصفه شكلا من أشكال انفتاح الدازاين عند هيدغر ,من جهة الزمانيّة .ففي الفقرة (68) من كتابه "الكينونة و الزمان" يتطرق إلى ما يسميه بـ"زمانيّة الخطاب" ,التي تتضمّن بدورها

---

[1]- مارتن هيدغر,كتابات أساسية ج2,ص249 .

[2]- المصدر نفسه ,الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه ,ص 272.

[4]- المصدر نفسه ,ص 249.

انفتاحاً من جهة "زمانيّة الفهم" ,و "زمانيّة الوجدان" ,و "زمانيّة السقوط" ,التي تكشف عن اختراق اللغة (في شكل كلام) للدازاين – المقذوف به وسط الناس و الآخرين- تزمّنناً .يقول هيدغر : ((في الحقيقة إن اللغة هي من يتكلّم و ليس الإنسان,إن الإنسان لا يتكلّم إلا بقدر ما يكون مناسبة لكلام اللغة.))[1] و الكلام من حيث هو كذلك يكشف عن إقامة الدازاين بالقرب من الوجود –في-العالم ,و هي إقامة بموجبها يتحوّل السؤال عن الشيء إلى بنية لغوية-زمانية تطال المعنى.بحيث لم يعُد يُفهم "الكلام " على أنّه وسيلة و أداة للتعبير عن مكنونات الدازاين و تخارجه ,بل ((إن الكلام هو في ذات نفسه زماني,من جهة أن كل كلام على..عن..و نحو..إنما يتأسس في نطاق الوحدة الوجدية للزمانيّة.))[2] و هو ما يعني أن انفتاح الظواهر الوجدية (الفهم,الخوف,القلق,السقوط,الفضول...) مرتبط بزمانية الكلام ذاته.حيث ((لا يكون هذا الكلام متكلّما ,بل كل كلام إنما يجب أن يثير حتماً ,و في الوقت عينه ,منشأ قوة الاستماع.))[3] و هو ما يكشف بدوره عن الدازاين و إمكانياته المتعددة كوجود –في-العالم.

يكشف الكلام المتكلَّم إذن,بوصفه أفقاً لتزمّن الدازاين ,عن بنية خطابية تتجاوز "اللغة الهوسرلية" ,و تجرُّه نحو ثرثرة مكبوتة ترمي إلى الكشف عن العالم كما هو ,و بعبارة زرادشت-نيتشه : ((فإن الثرثرة لتبسط العالم كلّه أمامي كحديقة مترامية الأطراف.))[4] و هو ما يجعل الدازاين دوماً على وثاق مع صوته الخافت ,يسمّيه هيدغر "النداء" , ((و لا يعني سماع النداء بالنسبة للدازاين إلا فهم الضرورة الوجودية للاختيار الخاضع للآمرة الوحيدة,و هي أن "يختار نفسه" في كل الحالات.))[5] كما يقول ميشال هار.من هنا,يكشف الدازاين من حيث أنه يختار نفسه,عن المسكوت عنه ,الذي غيّبته الميتافيزيقا الغربية.

يصل هيدغر من خلال تحليله لواقعة الكلام ,إلى نتيجة مفادها أن: ((الكلمة ليست في المقام الأول " تعبيراً " عن رأي,و إنما هي النسق المصون لحقيقة الموجود بكليّته,و لا يهم عدد الذين

---

[1] - Martin Heidegger, Questions III et IV, op, cit, p 61.

[2]-مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 604.

[3]-M.Heidegger, Apports à la philosophie, tr, François Fédier, nrf, édition Gallimard, 2013, p102.

[4]- نيتشه,هكذا تكلّم زرادشت, ص 248.

[5]- Michel Haar, Heidegger et l'essence de l'homme, op, cit, p51.

يمكنهم أن يستمعوا إلى هذه الكلمة,فنوعية أولئك الذين يمكنهم الإصغاء إليها ,هي التي تقرر وضع الإنسان في التاريخ.))[1] بمعنى ,ليس المهم عدد الذين يمكنهم الاستجابة لنداء الوجود,بقدر ما يهم الكشف عن "مَنْ هُم",لأنّه في الـ"هم" تنكشف الاستجابة بوصفها قولاً ,و منه لغةً ,التي تكشف بدورها عن حقيقة الوجود-في-العالم.

يقلب هذا التصور الجديد لظاهرة الكلام -من حيث هي بنية أنطولوجية-كل المفاهيم و التصورات الكلاسيكية المسبقة,بموجبها لا تعبّر الألفاظ عن أشياء و فقط,و إنما تُعاد صياغة تلك الألفاظ على أساس وجوداني – أنطولوجي ,يكشف عن علاقة الإنسان باللغة و الوجود.بل إن اللغة هي مسكنه الأصيل ,ومن خلالها يفهم الدازاين وجوده -في-العالم.و لئن نحى هيدغر بسؤال معنى الكينونة نحو اللغة, فلأنه أراد أن يصل إلى الكشف عن مكنونات الوجود الأصيل ,حيث تكون اللغة بمثابة واسطة بينه و بين الموجود. فكيف ذلك؟

2/ اللغة بوصفها مسكن الكينونة:

يقودنا التحليل الوجوداني-الأنطولوجي لظاهرة الكلام,إلى شيء خارج عن "واقعة الكلام" نفسها , بموجبها يُصبح الإنصات لتكلّم اللغة ,و الاستجابة لنداء الوجود,ضرورة ملحة لفسح الطريق نحو اللغة.يقول هيدغر: ((اللغة ليست تعبيرا صوتيا و لغويا عما ينبغي تبليغه,إنها لا تنقل الظاهر و المستور..و إنما هي تحمل قبل كل شيء الموجود بوصفه موجوداً إلى المنفتح.فحيث لا توجد اللغة مثلما هو الأمر في الحجر , و النبات , و الحيوان.لا يوجد هناك كذلك انفتاح الموجود , و تبعاً لذلك انفتاح لما هو غير موجود ,و لما هو فارغ.))[2]

لكن, كيف تكون اللغة مسرحاً لانفتاح الوجود؟و كيف يكون الوجود مسكناً للغة؟

يُفكّر هيدغر في "اللغة" من حيث هي مجموع العلامات – المشار إليها- ,و الموجودة - في -العالم,و بموجب ذلك ,تصبح كل علامة هي إشارة ينكشف من خلالها جانباً من الوجود.أي إن الأشياء الموجودة - في -العالم,تتجلى أمام الدازاين بوصفها علامة أو إشارة.هنا يتساءل ديريدا :((ما هي

---

[1] - Martin Heidegger, De l'essence de la vérité, op, cit, p 101.

[2]- مارتن هيدغر,أصل العمل الفني,تر,أبو العيد دودو ,منشورات الجمل ,ط1, 2003,ص 146.

العلامة؟...لا يمكن القفز على هذه الاجابة أو تجاوزها ,إلا إذا قمنا بشطب صيغة السؤال نفسها,و بدأنا بالتفكير بأن العلامة "هي" ذلك "الشيء" غير المسمّى بوضوح,و الوحيد الذي يفلت من السؤال المؤسس للفلسفة ما هو...؟))[1] و عليه,فالعلامة ترتبط بـ"الشيء" ,أو بالأحرى بـ"التسمية" , التي بموجبها يكون ذاك الشيء شيئاً,و تصبح اللغة بذلك متعلّقة بظهور الشيء(Zeigen*) ,و لا تحجّبه.و بذلك نعود إلى ما قاله هيراقليطس حين أعلن أن "الوجود يعشق الخفاء و التحجّب" .

يرجع هيدغر بذلك إلى الكلمة اليونانية "أليثيا" من حيث هي تعني اللاتحجّب و الانكشاف,و هو بهذا لا يرمي إلى كشف معناها و حسب ,بل يرمي إلى إماطة اللجام عن ذاك المنكشف و اللامتحجّب , بما هو واقع أمامنا. هذا ((هو الملمح الظاهرياتي (الفنومينولوجي) الذي يكتشفه هيدغر عند فلاسفة الإغريق في فجرهم الشاعري.كما يكتشفه عند أرسطو, فـ"اللوغوس" عند أرسطو كشف أو إتاحة رؤية الموجود الذي ينقل –من خلال القول- من التحجّب إلى اللاتحجّب ,و من الخفاء إلى الظهور,أي إن القول في صميمه كشف و إظهار.))[2] من هنا يفكّر هيدغر في اللغة كـ"حدوث" لحقيقة الموجود ,هذه الحقيقة التي فهمها اليونان بوصفها "أليثيا",و أوّلها هيراقليطس ,و من بعده أرسطو بـ"اللوغوس" ,الذي يحمل الموجود إلى ضوء اللغة ,و يسحبه إلى النور و اللاتحجّب.

تعبّر اللغة إذن عن ذاك "الحدث" ,يسمّيه هيدغر بـ "Ereignis" ,و فيه يسير تاريخ الوجود من الكلمة "أليثيا" إلى "اللوغوس" ,الذي يُنقَل بموجبه الوجود من التحجّب إلى اللاتحجّب ,و من التستّر و الخفاء إلى الظهور و الاستجلاء.إن تاريخ الوجود هو "تاريخ تكوين" يكون فيه السؤال عن معنى الوجود محمولاً على "أجنحة الدّهر" ,بل ((إن حقيقة الوجود تحدث تاريخيًا في دهريّة Temporalitat

---

[1]- ديريدا,الكتابة و الاختلاف,ص 119.

*-إن لفظة zeigen الألمانية ,تعني Erscheinen ,أي يترك الشيء يسطع,بمعنى انعكاس كل شيء في لعبة المرايا عند Geviert (المربع:الأرض و السماء/الفانون و الخالدون).و لهذا يتخذ القرب (Nahnis) أهمية كبرى في تعريف الـzeigen, يعني القول الأصلي (Sagen):أشار إلى,جعله يسطع,عرض للنظر عالماً منوّراً-مغيّباً- محرّرا.أنظر:جياني فاتيمو,نهاية الحداثة,تر,فاطمة الجيوشي,منشورات وزارة الثقافة,دمشق,1998 ,ص 79.

[2]- مارتن هيدغر ,نداء الحقيقة ,ص 122.

الوجود و تزمّن الدازاين اليومي,إنها تسكن في هذا الحدث الأساسي الذي يعهد Ereignet دهرية الوجود لتزمن الدازاين.))[1]

يبدو أن حقيقة الوجود تتعلق بما يحدث داخل "العهد" ,بوصفه الرابطة الأساسية بين الدازاين و العالم ,و بوصفه الخطوة الأساسية لبدء صيرورة الوجود التاريخية.يجد هيدغر الثاني نفسه منقادًا للكشف عن اللغة ,من حيث هي بيت الوجود و مسكنه ,و بشهادة "أوثو بوقلر" Otto Poggler : ((تكون سنة 1936 ,هي اللحظة الحقيقية لما سمّي بالمنعرج Die kehre ,الذي قاده من طريق "الأنطولوجيا الأساسية" إلى طريق "تاريخ الوجود".))[2] و لكي نفهم حقيقة هذا المنعرج ,علينا العودة إلى التفكير داخل دروب الاختلاف الأنطولوجي ,الذي يُفضي إلى الكشف و التنقيب عن تاريخ الفكر الغربي المطوي ,من أجل الوصول إلى فكر جديد ,يُعنى بتوضيح مشكلة الوجود و العالم و حقيقتهما انطلاقًا من "التفكير المؤسس الماهوي" ,الذي يبحث عن "حقيقة الماهية" بدل "ماهية الحقيقة".مثل هذا البحث يستمد خطوطه الأولى من البنية الزمانية لواقعة الكلام, التي تمهّد بدورها الطريق إلى اللغة. ((هذا الطريق -كما يقول هيدغر- لا يكون محدّد المعالم منذ البداية,بل إنّه ينفتح مع كل خطوة من خطوات التفكير و التساؤل ,و هو لا ينتهي بنتائج يتوقف عندها التفكير و التساؤل ,بل يفتح آفاقًا جديدة لهما ,و أثناء الطريق تتغيّر المفاهيم و التصورات ,بل يتغيّر المتسائل ذاته.))[3]

يُفصّل هيدغر الثاني في هذه المسألة شيئاً فشيئاً إلى أن يطال اللغة من حيث ارتباطها الماهوي بالوجود ,بل إنها هبة للوجود بواسطتها ينكشف المتحجّب ,و ينفتح على كل ما من شأنه أن يحرّك "القولة المانحة" نحو وجودها المُشرق و فيها ((الإنسان لا يحكي إلا بقدر ما يستجيب للغة على قاعدة ما يظهر,و الواقع أن هذه الاستجابة هي الطريقة المخصوصة التي بها يتخذ الإنسان موقعه في إشراقة الوجود.))[4]

---

[1]- إسماعيل مهنانة ,الوجود و الحداثة ,ص 229.

[2]- Otto Poggler, La pensée de Martin Heidegger, éditions ellipses, paris, p 263.

[3]- مارتن هيدغر, كتابات أساسية ج2 ,ص 244.

[4]- مارتن هيدغر, مبدأ العلة , ص 105.

إن اللغة هي التي تضيء عالم الإنسان ,و وجود العالم مرتبط بوجود الإنسان,و هو وحده الذي يُخوّل له فهم العالم,و بعبارة هيدغر: ((اللغة هي انفتاح المجال,حيث الإنسان يسكن بيت العالم المقام في الأرض و تحت السماء.))[1]

يتعلق الأمر هنا بالإقامة ,حيث تكون اللغة مسكن الوجود و موطن أسراره .يقول هيدغر: ((إن السمة الأساسية للمسكن هي هذه المراعاة ,حيث يتعمّق الموجود في كل مساحته .هذه المساحة تظهر لنا عندما نفكّر فيها كشرط إنساني يقيم داخل المسكن ,بمعنى المُقام على أرض الفانين.))[2]و هو ما يعكس بدوره العلاقة بين الوجود و اللغة كمسكن له و الإنسان,و لكي نفهم هذه العلاقة يتجه هيدغر إلى الفن ,حيث انفتاح الحقيقة على العالم المحيط بالموجود.

المبحث الثاني:الفن و الحقيقة كانكشاف للعالم:

1/ هيدغر و لقاء الفنومينولوجيا بالفن:

لقد وصلت الجمالية التقليدية منذ نشأتها الإغريقية إلى مفترق طرق ,كادت أن تعصف بالدور الحقيقي الذي يلعبه مبحث القيم داخل التاريخ الفلسفي ,بل إن المتأمّل داخل قوالب الفكر المتقدّم,سرعان ما يكتشف تلك العناصر الحداثية ,التي عجّلت بأفول الفن ,و زحزحته من خارطة الموروث ذاته. ليصبح ((أفول الفن ليس إلا جانبًا من موقف أعم لنهاية الميتافيزيقا, حيث يدعى الفكر إلى تجاوز (Verwindung) الميتافيزيقا...إنّه ضمن هذا الإطار يمكن للإستيطيقا أن تضطلع بمهمّتها كإستطيقا فلسفية...إذا عرفت كيف تستقبل بشرى عصرا للوجود, حيث ينفتح الفكر أيضا لاستقبال المعنى.))[3]يقول فاتيمو.

يكشف ذلك "الأفول الفني" في عصر هيمنة التكنولوجيا عن أفول أنطولوجي ,يحاول هوسرل النهوض به من خلال مدّه لفكرة العلامة , يتساءل دريدا: ((أليست العلامة أمراً غير الموجود,أليست هي

---

[1] -M. Heidegger, Questions III et IV, op, cit, p 64.

[2]-M. Heidegger, Essais et Conférences, op, cit, p 176.

[3]- جياني فاتيمو ,نهاية الحداثة ,ص 74.

"الشيء" الوحيد الذي بامتناع كونه شيئاً يفلت من السؤال "ما هو"؟ .))[1] وهو ما يكشف عن محاولة هوسرل في قلب المفهوم الميتافيزيقي للدلالة ,التي ترتبط عند الإغريق بما هو موجود,أي ما يظهر أمامنا على أنّه ذالك الشيء لا غير.و لما كانت الفنومينولوجيا الهوسرلية تُعنى بدراسة الظواهر بما في ذلك الظواهر الفنية,كان من الطبيعي أن يكون مجال ظواهر الفن مجالاً خصباً ,و ملائماً لتطبيق المنهج الفنومينولوجي.فكيف ذلك؟و كيف نفسّر تلك الرابطة بين الفن و الفنومينولوجيا ؟

لعلّ أوّل ما نلاحظه من أوجه القرابة بين الفن و الفنوميولوجيا يظهر من خلال "الخبرة المباشرة بالأشياء" ,فإذا كانت ((الظواهر بوجه عام هي ما يظهر للوعي أي هي خبرات ,فإن ظواهر الفن هي بالمثل خبرات بنمط معين من الموضوعات ,التي نسمّيها موضوعات فنية أو جمالية.و هذه الخبرات الفنية أو الجمالية قد تتمثل في رؤية فنية أولية إبداعية(خبرة الفنان) ,أو خبرة جمالية إدراكية (خبرة المتذوق أو خبرة الناقد .))[2]

إن عودة الفنومينولوجيا في كل مرّة إلى "الأشياء ذاتها" ,هي ما يُمكّن من إعادة بلورة مجمل خبراتنا الفنية منها و الإدراكية و حتى الشعورية.و يصبح الفن — أو الرؤية التي تبدع الفن — متمثّلا في ماهية الأشياء ,التي تكشف عن بداهة أصلية متجذّرة في الظاهرة المعطاة ,و هذا ما يكشف عن صلة القرابة الحميمة بين الفن و الفنومينولوجيا ,حيث ((إن عملية استخلاص الماهيات من الواقع في الفنومينولوجيا,تشبه —إلى حد ما- تلك العملية التي يقوم بها الفنان حين يستبصر المعنى أو الماهية في الواقعة المعطاة لخبرته عن طريق الخيال أو العيان المباشر.و بالتالي ,أهم ما يميز الفن أنه — شأنه شأن الفنومينولوجيا- لا يلجأ إلى عملية استقراء أو استدلال في استخلاص المعنى أو الماهية,بل هو يقدّمها لنا بشكل عياني في الفردي أو الجزئي,و كل ما هنالك,أن الفن يلمّح و الفنومينولوجيا تصرّح .))[3] كما يمكن الكشف عن تلك الصلة بين المنهج الفنومينولوجي و الرؤية الفنية من خلال (("عملية التأسيس" constitution ,فإذا كان القصد من الفنومينولوجيا يتميّز بأنّه يؤسّس موضوعه من مادة معطاة ,و يضفي عليه المعنى أو الدلالة ,فإن النشاط الفني - في جوهره- هو نوع من الخلق أو

---

[1]- جاك دريدا ,الصوت و الظاهرة ,ص 56.

[2]- جان ماري شيفر ,الفن في العصر الحديث,تر فاطمة الجيوشي,منشورات وزارة الثقافة ,دمشق,(ب.ط) ,1996,ص 207.

[3]- سعيد توفيق, الخبرة الجمالية, المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع, (ب.ط) ,(ب.ت) ,ص 101.

التكوين .))[1] من هنا يلتقي الفن مع الفنومينولوجيا التي تعود في كل مرّة إلى المفهوم التقليدي ,من أجل إخراجه إلى معناه الواقعي ,و تكون الرؤية الفنية بذلك بمثابة "بديهية أولية" ينكشف بموجبها وجودنا الأصلي ,الذي كان متخفياً وراء سلطنة مفاهيم العلم و التقنية.

يتجه هيدغر بدوره إلى التفكير داخل أسطورة الفن و "العمل الفني" بوصفه ظاهرة معاشة ,و هو من أجل ذلك يعود إلى فكرة الإحالة أو الأداة ,التي تبنّاها هوسرل.حيث إن الأدوات تحيل إلى بعضها البعض, ((فالعمارة في الحجر,و الحفر في الخشب,و اللوحة في اللون,و العمل اللغوي في الصوت,و العمل الموسيقي في اللحن .))[2] يقولها هيدغر بكل ثقة.

يحاول هيدغر في هذا المقام أن يعدو بالفن إلى بعده الأقصى ,و هو من أجل ذلك يعود إلى كتابات الفن القديم,أي العودة إلى التفكير داخل العهد ما قبل الحداثي ,إلى الأصل ما قبل الميتافيزيقي ,ليصبح الفكر حينئذ لا يشمل الإغريق و فقط ,بل يمتد إلى ذلك المكان الذي بموجبه يستيقظ تاريخ الأنطولوجيا من سباته الميتافيزيقي ,ليطال الفكر في لجّة ابداعاته "الفنية "التي توحي بيقظة الموجود و الوجود معاً.و على إثر ذلك يختفي الأفول ,و يحل محله الإشراق و النور .و هذا لا يتسنى حسب هيدغر إلا بالعودة إلى أرض الألمان ,حيث الكلمة الألمانية وحدها تحمل صرح الوعد الأنطولوجي المتستّر .يقول مارك جيمينيز في هذا المعنى : ((إن أعمال الفن الحديثة ,و الإنتاجات الطليعية,إذ غادرت الأرض الألمانية,فقدت صلتها المميّزة بـ"الشعبي" و "الوطني" ,و وقّعت بذلك عقداً مشئوما مع التقنية و العلم العالميّين ,اللذين يضبطان وحدهما اليوم ,الشروط غير الأليفة لإقامة الإنسان فوق الأرض .))[3]

إن انعطافة هيدغر الفنية لتستوجب في كل مرّة ,العودة إلى قلب الموروث الميتافيزيقي.فبعد أن تعذر الكشف عن معنى الوجود و انفتاح العالم في "الأليثيا اليونانية" ,يضطر هيدغر مرّةً أخرى إلى فتح طريق آخر يكون بمقدوره تهيئة العبور نحو معنى الكينونة.هنا ينفتح هيدغر على "الفن" ,و منه على "العمل الفني" بوصفه الطريق الهادي للحقيقة ,حقيقة الكينونة – داخل- العالم.فكيف ذلك؟

---

[1]- سعيد توفيق,الخبرة الجمالية,ص 102.

[2]- مارتن هيدغر ,أصل العمل الفني ,ص 62 .

[3]- مارك جيمينز, ما الجمالية؟,تر شربل داغر,مركز دراسات الوحدة العربية,بيروت,لبنان,ط1, 2009,ص 360 .

2/ الفـن و حـقيقـة الانـفتـاح الوجـودي:

يبـدو أن انحبـاس القـول الأسـاسي داخـل مسألـة الوجـود ,هـو ما جعـل هيدغر في كل مـرة يغيّر مسـار تفكيـره .فمن سـؤال معنى الوجـود و العالـم ,و تـقويضـه لتـاريـخ الأنطـولـوجيـا الكلاسيكيـة إلى سـؤال الزمـان و علاقتـه بالوجـود,و منـه إلى الكـلام الذي يكشـف عن الصمـت,ليصـل إلى اللغـة بـوصفـها ملجـأ الوجـود و مرقـده الأخيـر.و في خضم ذلك كلّـه ,يـلتفت هيدغر إلى مُسـاءلـة "الفن" بـوصفـه المجـال الذي تـنفتـح فيـه الحقيقـة (حـقيقـة الوجـود) ,و بشـهـادة فـاتيمـو : ((يكـون العمـل الفني النـوع الوحيـد من المنتـج المصنـع , الذي يسجّـل الشيخـوخـة بمثابـة حـدث إيجـابي ,يـنـدرج بفاعليـة في تـحديـد إمكانـات جديـدة للمعنى .))[1]

يـدخـل الفـن إلى قلب الأنطـولـوجيـا الهيدغريـة من خـلال كتـابـه"أصـل العمـل الفني" 1935 ,الذي ينفتـح بـدوره سـؤالاً عن الشيء*,و من ثـمـة سـؤالاً عن "شيئيـة الشيء ", ((فالأشيـاء في ذاتهـا و الأشيـاء التي تظهـر,وكـل مـا هو موجـود عمـومـاً,يطلق عليهـا في لغـة الفلسفـة: اسم الشيء .))[2] لكـن,مـاذا يقصـد هيدغر بـ"شيئيـة الشيء"؟

يُقـدّم هيدغر بدايةً ثـلاث تفسيـرات لشيئيـة الشيء,كما هي في تـاريـخ الفلسفـة : ((مـؤداها أن الشيء هـو "الجوهـر" الذي يتصـف ببعض الصفـات و الأعـراض...الشيء ليس إلا وحـدة من كثـرة المعطيـات الحسيّة...(و مع ذلك) فالتفسير الأول يجعل الشيء بعيداً عنّا,و الثاني يقرّبه منّا إلى حد كبير حتى يختفي معنى الشيء .))[3] أمـا التفسير الثالـث الذي يـعرضه هيدغر ,فيتعلّق بالمـادة من حيث ارتبـاطها بالشكـل,يقـول بهذا الخصـوص : ((الشيء مـادة تشكّـلت من خـلال الصـورة ein geformeter stoff...و هذا التمييـز بين الصـورة و المـادة هو الأسـاس الذي تقوم عليه بصفـة عامـة كل نظريـات الفـن و

---

[1]- جياني فاتيمو,نهاية الحداثة,ص 73.

*- السؤال عن الشيء هو السؤال نفسه الذي سبق و أن أثاره كانط في كتابه"نقد العقل المحض" , و تناوله هيدغر بالتقصي في كتابه"السؤال عن الشيء" , ليصل إلى القول أن السؤال عن الشيء هو نفسه السؤال التقليدي:ما هو الإنسان؟و من ثمة بات لزاما علينا أن نفهم الإنسان بوصفه ذاك الكائن الذي يقفز دائما على الأشياء ,بحيث تبقى هذه الأشياء هي نفسها.للمزيد ارجع في هذا الصدد إلى كتاب مارتن هيدغر,السؤال عن الشيء,حول نظرية المبادئ الترنسندنتالية عند كنط, تر,اسماعيل المصدق,مراجعة,موسى وهبة,مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع,ط1, 2012.

[2]- مارتن هيدغر, أصل العمل الفني , ص 64.

[3]- صفاء عبد السلام علي جعفر,هرمينوطيقا الأصل في العمل الفني,منشأة المعارف,الاسكندرية, 2000, صص 55-56.

الاستطيقا...لكن هذا التمييز لم توضع أسسه بصورة كافية...فضلا عن أن مجال تطبيقه ينأى عن الفن و العمل الفني .))[1] من هنا فإن ما يعيبه هيدغر على الجمالية التقليدية هو مسارها نحو الشيء ,فهي بنظرها للعمل الفني على أنه كذلك,لم تخرج عن الإطار الذي يؤديه عمل فني ما من حيث هو شيء مادي,يقول هيدغر: ((إننا نشعر في بعض الأحيان أن هناك عنفاً قد مورس ضد شيئية الأشياء ,و أن الفكر كان له دوره في هذا العنف ,و لذلك يتخلى المرء عن التفكير بدل أن يجهد نفسه في سبيله ,حتى يكون التفكر أكثر تفكيراً .))[2]

يعود هيدغر لتأكيد موقفه في هذا الصدد إلى لوحة الفنان "فان كوخ" ,و بالضبط إلى لوحة "حذاء الفلاحة**" التي لا تحيل حسبه إلى الحذاء و حسب ,بل إلى الأداة (زوج الأحذية) ,و ما تتمتّع به من منفعة ,حيث ((لا يتوقف العمل عند الحذاء ,و لا عند مشاهدة الطبيعة,يبحث الفنان عن حقيقة العمل, و إلى ما يحدث في عالم يظهره العمل الفني ذاته .))[3] لكن كيف نُجزم بحقيقة عمل فني ما دون أن يُحدث خلطاً بينه و بين عمل آخر ؟

يستحضر هيدغر هنا مسألة الاختلاف من جديد ,التي تكشف عن هوية الأحذية. و على إثرها يحدث تصاحب* ,بين العمل الفني و الفنان .يقول "سلفرمان" في هذا المعنى : ((إذا كانت الأحذية التي نحن

---

[1]- صفاء عبد السلام علي جعفر,هرمينوطيقا الأصل في العمل الفني ,ص 57 .

[2]- مارتن هيدغر,أصل العمل الفني, ص 70.

**- يصف هيدغر "زوج الأحذية" وعالم الفلاحة في كتابه "دروب الغابةHolzwege" يقول: ((من الفوهة المظلمة لدواخل الأحذية القذرة تُرْمَق وطأةُ الفلاحة المنهكة,وفي ثقل الأحذية المتجعدة بقسوة,ثمة عناد متراكم تحمله مشيتها المجهدة و البطيئة خلال أخاديد الحقل المنبسطة بعيدا...و على جلد الحذاء تضطجع رطوبة التربة و خصوبتها.و من تحت النعلين,تنزلق وحشة الحقل عندما يخيّم عليه المساء.و في الأحذية ينوس نداء الأرض الصامت...إن هذه الأداة (أي الحذاء) يتخللها قلق مكتوم...إن هذه الأداة تنتمي إلى الأرض,وتُصان في عالم الفلاحة.و من هذا الانتماء المُصان تبعثُ الأداةُ نفسُها هجوعَها ضمن نفسها))أنظر:هيوج.سلفرمان,نصيّات بين الهرمينوطيقا و التفكيكية,تر,علي حاكم صالح و حسن ناظم,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء-المغرب,ط1, 2002, ص 202.

[3]- علي الحبيب الفريوي,مارتن هيدغر"الفن والحقيقة" أو الإنهاء الفنومينولوجي للميتافيزيقا,دار الفارابي بيروت-لبنان,ط1, 2008,ص 150.

*- "التصاحب" : صيغة يستخدمها هيدغر للدلالة على ازدواج الكينونة و الكائنات,و في لوحة "فان كوخ" مثال على "ما هو قائم هناك(Da)",على كائن,على ما هو موجود,على "ذلك"الشيء الحاضر , يعني الحاضر هنا أو هناك.فالكائنات في علاقتها

بصددها ,هي في الواقع أحذية الفنان و ليست أحذية فلاحة,فإن فان كوخ الفنان(الذي يصاحب عمله) في رسمه لأحذيته الخاصة,و العمل نفسه يُضمّان في الاختلاف الذي يؤسسه التصاحب.و ضمّ الفنان و العمل الفني هو المكان الذي ينكشف فيه الفن,و يُظهر المُحتجِب,و يُقيم نفسَه في المكان الذي يشغله الاختلاف .))[1] و هكذا "لم يعد العمل ابتداءً من الشيء " أمراً ملحًا في فلسفة هيدغر الجمالية,بل أصبح العبور من العمل الفني إلى حقيقة ماهيته,هو ما يفرض نفسه على الفكر من أجل إخراج الفن ,و منه العمل الفني إلى حقيقته. حيث يُصبح ((العمل الفني استضافة و ايواء لماهية الحقيقة بما هي كذلك .))[2] و يُصبح " الفن" عنواناً حاسماً لكشف الحقيقة ,و انفتاح العالم عليها ,بل هو تجاوز لميتافيزيقا التقنية التي أسقطت الفكر الغربي بأكمله في هاوية النسيان من جديد.

لقد اعتادت الجمالية التقليدية على رؤية العمل الفني بحسب ما يظهر ,أي بوصفه شيئاً ظاهراً لا غير,و هي بذلك تنحاز عن الدرب الأصيل لحقيقة "العمل الفني" ,بما هي كامنة في "الحدوث".من هنا يحاول هيدغر أن يُعطي تفسيرًا واضحاً لحقيقة العمل الفني ,من خلال فكرته عن "الحدث" ,الذي سبق و أن وظفه في كتابه "الكينونة و الزمان" في خضم تحليله لمفهوم العالم ,و هو في كتابه "أصل العمل الفني" يُصرّ على ربط العالم بانفتاح الحقيقة ,بوصفها حدثاً أو حُدوثاً.يقول هيدغر: ((لقد تحدّدت حقيقة العمل الفني على أساس ذلك الذي يعمل عمله في الفن,أي حدوث الحقيقة.و نحن نفكر في هذا الحدوث على أنه وقوع النزاع بين العالم و الأرض .))[3]

تتأسس الحقيقة ضمن هذا الصراع الحاصل بين الأرض و العالم,بين الانغلاق و الانفتاح,بين الظلام و الضياء ,حيث تكون الأرض هي القاعدة الأساسية التي ينمو فيها كل عمل ,و يتجدّد في كل مرّة ,و بعبارة

بالكينونة,وهي علاقة تصاحب تؤسس الاختلاف الأونطك-أونطولوجي,إنما هي علاقة تتكرر في الدائرة الهرمينوطيقية الجمالية,ونعني بها علاقة العمل بالفنان,والفنان بالعمل.أنظر : هيوج.سلفرمان,نصيّات بين الهرمينوطيقا و التفكيكية,صص 207-208.

[1]- هيوج.سلفرمان,نصيّات بين الهرمينوطيقا و التفكيكية ,ص 208.

[2]- M. Heidegger, Les Chemins qui ne mènent nulle part, op, cit, p53.

[3]-مارتن هيدغر, أصل العمل الفني , ص 122.

فاتيمو: ((إن الأرض هي العمل الفني "هنا و هناك "(Hic et nunc) الذي يُحال إليه دائما كل تفسير جديد,مما يثير دائما قراءات جديدة ,و بالتالي "عوالم" جديدة ممكنة .))[1]

لكن لا يجب أن يقودنا مثل هذا القول إلى التفكير في الصراع بشكل سلبي,فعلى العكس من ذلك,يكشف ذلك الصراع عن علاقة انسجام و ألفة بين كليهما ,حيث يؤلف العمل الفني بين مادية الأرض,و انفتاحة العالم.هنا يعرج هيدغر إلى مساءلة الحقيقة بما هي لاتحجّب (أليثيا) , ((و إن كانت الحقيقة لا-احتجاباً لا ينتفي الاحتجاب,فحدوث الحقيقة يتوقف عند حدوث اللا-حقيقة,وانفتاح العالم يقوم على احتجاب الأرض .))[2]

يربط هيدغر من جهة أخرى حقيقة "العمل الفني" بالزمانية ,التي من خلالها ينكشف ذلك العمل الفني بوصفه عملاً قابلا للزوال و الفناء ,و هو الأمر الذي يحيلنا إلى التفكّر داخل أقاني الميلاد و الموت , و علاقة الزمان بكليهما.يقول هيدغر: ((الأرض و السماء ,الفانون و الإلهيون ,يشكلون في كل منطلق وحدة أصلية...فعندما نقول مثلا الأرض, فنحن نفكّر سلفاً في الثلاثة الآخرين, غير أننا لا نتبصّر بساطة الأربعة.))[3] لكن أي زمان يقصده هيدغر؟ هل يقصد بذلك الزمان التاريخي ؟أم أن هناك زمان آخر يتوجب علينا استظهاره؟

يتعلّق الأمر هنا بنوع الزمانية التي يحاول هيدغر الاستنجاد بها من أجل تخريجه للحقيقة ,و هذا ما يظهر من خلال فكرته عن الموت الذي يحاذي وجود الإنسان ,حيث يصبح الوجود الإنساني وجود - نحو- الموت ,و يكون الإنسان شاهدا على موته ,و هو في هذا يختلف عن الحيوان الذي لا يستشعر موته. فالدازاين -حسب هيدغر- يحمل معه موته منذ ولادته و بشهادة ميشال هار: ((إن الوجود نحو الموت وثبة لتقديم الإمكانية الخاصة ,التي لا يمكن تجاوزها و التي تفتح الطريق للزمانية الأصلية.لكنه لا يسمح بأي امتلاء ,و لا يفرز إلا "الهو" بدون محتوى وجودي ,إنه نداء الوعي...و لكنّه يقذف الدازاين نحو العراء الوحيد لوجوده .))[4] هذا العراء ليس سوى موته المنفتح عبر كل إمكانياته الخاصة.

---

[1]- جياني فاتيمو ,نهاية الحداثة ,ص 72.

[2]- علي الحبيب الفريوي,مارتن هيدغر"الفن و الحقيقة" ,ص 156.

[3]-M. Heidegger, Essais et Conférences, op, cit, p176.

[4]- Michel Haar, Heidegger et l'essence de l'homme, op, cit, p14.

تتضح رؤية المنفتح أكثر كلّما تمعنّا النظر في المنتوج الفني ,الذي يختفي وراءه كل عمل مبدع .و سواء تعلّق المنتوج بلوحة فنية أو نغمة موسيقية أو تمثال معماري...الخ ,فإن الأثر الذي يتركه كل عمل فني يرتبط بالعمل الفني ذاته , ((فالعمل الفني-كما يقول غادامير-لا "يعني" شيئا ما ,و لا يؤدي دور علامة تحيل على معنى ,و إنما هو بالأحرى يحضر ذاته في وجوده الخاص.لذلك يجب على المشاهد أن يمكث بقربه,فهو يحضر نفسه إلى حد بعيد جدًا ,بحيث أن مقوماته الرئيسية-الأحجار,أو اللون,أو النغمة,أو الكلمة-تكتسب وجودًا حقيقيًا تستقل به ضمن العمل الفني نفسه فقط .))[1]

إن الأثر الذي يتركه كل عمل فني ,هو ذاته الذي يتخذ صورة انفتاح و انكشاف للموجود , ((فحيثما يُظهر الإنتاج انفتاح الموجود ذاته,وهو الحقيقة,يكون المنتج عملا فنياً.فالإنتاج من هذا النوع إنما هو الخلق,و هو بالأحرى بوصفه إحضاراً,استلام ,و أخذ داخل علاقته بالكشف .))[2] و في عملية الخلق يعود هيدغر مرة أخرى إلى النزاع بين الأرض و العالم ,بحيث ((يُعاد النزاع بوصفه شرخاً إلى الأرض ,و الأرض نفسها يجب أن تظهر على أنها المنغلقة في ذاتها ,و أن يكون هناك استعمال لها .))[3] و هو بذلك يعود إلى ما سمّاه بـ"النزاع الأصلي" ,حيث انفتاح العالم على كل إمكانية من شأنها أن تُفصح عن علاقة الموجود بالأثر الفني الحاضر ,و انغلاق الأرض ,و العودة إلى المادة الأولى لتشكّل الأثر في الشكل Gestalt* ,يقول هيدغر في هذا المقام : ((إن النزاع الذي اتخذ طابع الشق ,و ارتد إلى الأرض فتمّ بذلك تثبيته ,هو الشكل ,كون الأثر مبدعاً يعني كون الحقيقة مثبّتة في الشكل .))[4]

تقيم الحقيقة بما هي كذلك في العمل الفني ,الذي يكشف عن صراع الأرض و العالم ,بل يكشف عن ما هو حادث في التاريخ .و بذلك تكون ((الحقيقة هي الفعل الذي به نحدس عالماً تاريخياً ثقافياً,و

---

[1]- غادامير,طرق هيدغر, ص 228.

[2]- مارتن هيدغر,أصل العمل الفني ,ص 130.

[3]- المصدر نفسه ,ص .132

*-الشكل Gestalt ,لفظ يستعمله هيدغر ليدل به على النزاع القائم بين العالم و الأرض,بل هو جلب و تثبيت ذاك النزاع كشرخ في الأرض ,و هو المفهوم الذي سيوضّحه هيدغر من خلال "الشعر" ,بحيث يصبح ((ما يعرضه الشعر باعتباره تصميما كاشفاً ,و يلقى به إلى الأمام نحو شرخ الشكل,هو المنفتح,الذي يسمح بالحدوث بطريقة تجعل المنفتح هذا لا ينير و يرسل رنينه إلا في وسط الموجود.)) أنظر:مارتن هيدغر,أصل العمل الفني,ص 145.

[4]-مارتن هيدغر,كتابات أساسية ج1,منبع الأثر الفني ,تر,اسماعيل المصدق ,المجلس الأعلى للثقافة ,القاهرة,ط1 ,2003 , ص 112.

به ندرك "إنسانية" تاريخية السمات الأساسية ,لتجربتها الخاصة مع العالم المحدّد بشكل أصلي .))[1]
و هذا ما يعني ارتباط الفن من حيث هو حقيقة ,بتاريخ العالم ,الذي من خلاله نفهم تاريخ شعب ما,و تصبح ((كل لغة هي حدوث القول ,الذي يظهر فيه لشعب من الشعوب عالمه تاريخياً ,و تحفظ فيه الأرض بوصفها المنغلقة.القول المصمم هو ذلك الذي يحمل فيه إلى العالم ما يمكن قوله ,و ما لا يمكن قوله في الوقت نفسه .))[2]

يحيل هذا القول المصمم إلى الشعر ,بوصفه مسكن العالم و الأرض معاً.و تُصبح الكلمة الشعرية مع هيدغر ,هي بمثابة المسرح الذي يتم داخله لعبة الأربعة (الأرض,السماء,الفانون,الإلهيون). و هو ما يعبّر عنه فاتيمو بقوله : ((إن ما يحدث في اللغة الأصيلة-أو الشيء ذاته ,في اللغة الشعرية- يكون وضع الشيء في لعبة Geviert "رباعية" ,الأرض و السماء,الفانين و الخالدين ,الذي لا يقدّم نفسه إلا مثل "صدى الصمت" ,و لا يشارك في شيء البداهة الموضوعية للماهيات من النموذج الفنومينولوجي .))[3]

المبحث الثالث :اللغة و الشعر عند هيدغر:

1/اللغة و الانفتاح الشعري عند هيدغر:

يخلص مؤلف "1927" في نهاية المطاف إلى "الوجود و الحدث و اللغة" ,ثلاث مقاربات أساسية تكفي مع هيدغر للوصول إلى "مكاشفة شعرية" ,تُفصح عن "الشعر" بوصفه المنفذ المتبقي لإخراج سؤال الكينونة إلى مبتغاه ,و عليه فالسؤال الذي ينبغي طرحه في هذا المقام هو:لماذا انصرف هيدغر إلى اللغة الشعرية؟و هل استطاع من خلال "الشعر" أن يفك طلاسم معنى الكينونة؟

ترتبط اللغة -في نظر هيدغر- ارتباطاً ماهوياً بالوجود,فهي الفضاء الذي تتم فيه لعبة الحضور و الغياب,الضوء و الظلام,بل هي الفسحة التي تضيء العالم ,و تمكّنه من رؤية النور.و كما تقول فرانسواز داستور : ((النور و سيطرة الرؤية كلّها يخضعان للانفتاح في Lichtumg (الإضاءة),بقدر ما هي ثغرة لترتيب فضاء اللعبة,حيث حضور و غياب,نور و ظل,المناسب و اللامناسب تجرّب

---

[1]- جياني فاتيمو, نهاية الحداثة ,ص 76.
[2]- مارتن هيدغر,أصل العمل الفني,ص 147.
[3]- جياني فاتيمو, نهاية الحداثة, ص 75.

تعاونها الضمني.))[1] من هنا,تكون "اللغة "هي التي تضيء عالم الإنسان,و يكون "العالم" المسرح الذي تجري فيه لعبة الظل و الضوء ,الخفاء و الظهور ,التستّر و الإبانة...الخ.

لقد أضحت اللغة –بهذا المفهوم- لغزاً محيّراً لعصر الحداثة,فهي لم تعد مجرّد وسيلة للتعبير و فقط كما في الطرح الألسني,بل أصبحت تتعلّق بالإضاءة ,و انفتاحها على الوجود,و بموجب ذلك تكون اللغة سابقة على الموجود ,و هو ما يؤكد ((أن اللغة ليست فقط وسيلة للفهم و التعبير ,بل على العكس من ذلك,فهي تحضر قبل كل موجود l'étant بوصفه موجوداً في الانفتاح dans l'ouvert.))[2]

لكن ,ثمّة صمت داخلي يحجب رؤية الموجود –في- العالم,و هو ما سيحمل هيدغر إلى "اللغة الشعرية",لتُصبح "الكلمة الشعرية" هي التي تفتح الإنسان على العالم,بل بواسطتها يسكن الإنسان في العالم.و تكون اللغة بموجب ذلك في معناها الشعري ,هي المسئولة الوحيدة على مُقام الإنسان ,و منه ((فإن انفتاح الوجود,إنما يمكن أن يُصبح الهدف الخاص للكلام الشعري.))[3] و إذا نحن بحثنا في جوهرية هذا"الكلام الشعري",فإننا سنجده في تعبير الشعراء,فوحدهم ((الشعراء يستطيعون بحسن اختيارهم للألفاظ ,أن يقيموا معايير الوجود الإنساني و مقاييسه.))[4]

يرتبط فهمنا لحقيقة اللغة و الشعر عند هيدغر ,بمدى فهم حقيقة العلاقة بين الشعر و الفكر/الفلسفة .و هذا ما لا يتأتى لنا إلا بإعادة صياغة مفهوم الخطاب الفلسفي ذاته,أي العودة إلى المفهوم التقليدي الذي يحصره "أفلاطون" في مجرّد علاقة صراع ,بموجبها لا يرقى الانتاج الشعري إلى مرتبة الابداع الفلسفي,لأن الشعراء حسبه يظلون مرتبطين بالمعرفة السائدة عند العامة,يقول أفلاطون : ((مع ذلك فإنه (الشاعر) ,لن يتردّد في المحاكاة ,دون أن يعرف الجانب الذي يجعل كل شيء حسناً أو قبيحاً...إن ما يبدو جميلاً للعوام و الجهلة ,سيكون هو بالضبط ما سيحاكيه الشاعر.))[5] معنى ذلك أن أفلاطون يرى في إنتاج الشعراء ضعفاً و رداءة ,لأن ما يحاكيه الشاعر لا ينفذ إلى العمق ,و إنما

---

[1]- فرانسوا داستور ,هيدغر و السؤال عن الزمان,ص 130.

[2]-Beda Allemann, Hölderlin et Heidegger, tr François Fédier, Presses universitaires de France, 1ere édition, 1959, p 139.

[3]- مارتن هيدغر, الكينونة و الزمان ,ص 315.

[4]- مارتن هيدغر, في الفلسفة و الشعر,تر عثمان أمين, الدار القومية للنشر و التوزيع,القاهرة, ط1, 1974, ص 24.

[5]- Platon, La République, tr Emile Chambry, édition, Gauthier, 1977, p 313.

الأمر يتعلق بالسطحية .إذ ((لا تخلق المحاكاة بالنسبة إلى أفلاطون سوى ما هو وضيع.))[1] و إلى مثل هذا الرأي يذهب نيتشه في كتابه"هكذا تكلّم زرادشت" ,حيث يقول على لسان زارا : ((وآسفاه ! لقد ألقيت شباكي في بحارهم (أي الشعراء) آملا اصطياد خير الأسماك ,لكنني ما سحبت هذه الشباك إلا و قد علق فيها رأس إله قديم,وهكذا كان يجود البحر بحجر على الجائع...لقد أتعبني هذا الفكر و سوف يأتي زمان-و هو قريب- يتعب فيه هذا الفكر من ذاته.))[2]

لكن هيدغر عندما يتحدث عن الشعر,فهو يتحدث عنه في إطار الأنطولوجيا, لا في إطار المعرفة,ذلك أنه يعتبر "الشعر" بمثابة المؤسس للوجود بواسطة اللغة,و هو ما يؤكده في محاضرته "هولدرلين و ماهية الشعر" بقوله : ((الشعر تأسيس للوجود بواسطة الكلمةla parole ...و الوجود(sein) لا يكون أبداً هو الموجود (seiendes), و لكن نظراً لأن الوجود و ماهية الأشياء لا يمكن أبداً أن ينتجا عن حسب, و لا أن يشتقا من الموجود المعطى سلفاً, فإنه من الواجب أن يخلقا و يوضعا و يعطيا بحرية.و هذا العطاء الحر هو التأسيسla fondation.))[3]

إنّه مع هيدغر فقط تُصبح كل أفكارنا المكبوتة ظاهرة ,و مصطفّة في كلمات.و تصبح الكلمة الشعرية هي التي تسمح بانفتاح الوجود أمام الدازاين ليقول قولته المكبوتة,و هذا ما يفسّره بيت "جورج تراكل" الشعري,الذي عدّله هيدغر,بحيث لم يعد البيت معه ((حيث تخفق الكلمة يمتنع الوجود,**بل** يقدّم الوجود نفسه هناك حيث تخفق الكلمة.))[4] و بهذا ,يصبح الشعر ليس كلاما يُقال و فقط,بل هو القول الذي ينكشف بواسطته كل شيء,بل هو بداية التكلم الأول للغة,ليُصبح بذلك"القول الشعري" هو الشكل الأوّلي للفكر.و عليه,لا يكون الشعر مجرّد تشكيل لغوي أو صورة جمالية فحسب,و إنما هو المجال الذي تتحقق فيه ماهية اللغة,من حيث هي قول و كشف و إظهار.هنا

---

[1]- Platon, La République, op, cit, p 315.

[2]- نيتشه,هكذا تكلم زرادشت,ص 109.

[3]-Martin Heidegger, Approche de Hölderlin, tr, Henry Corbin, Michel Deguy, François Fédier, et Jean Launay, édition Gallimard, 1962, p 52.

[4]- جياني فاتيمو,نهاية الحداثة ,ص 75.

يُخبرنا هيدغر بأن((الشعر لا يتلقى اللغة كمادة يحدث فيها عمله,و تكون في متناول يده,تحت تصرفه,بل على العكس,الشعر هو الذي يبدأ فيجعل اللغة ممكنة.))[1]

يعتبر هيدغر اللغة هي الشعر الأصيل ,الذي يمكّنه من استظهار الاختلاف بين العالم و الأشياء,بين الانفتاح و الأرض,بين التحجّب و اللاتحجّب , و هو من أجل ذلك يقارب بين اللغة الشعرية و الفكر, يقول هيدغر في هذا النطاق : ((يتحرّك الفكر و الشعر حصريا في ميدان الكلام.إن عملهما و عملهما فقط من طبيعة لغوية .))[2]و هيدغر من خلال مقاربته بين الفكر و الشعر ,إنما يهدف إلى تحرير الذات من قوالب الفكر الميتافيزيقي القديم ,الذي غالى من تصعيده لمقولة الأنا.محاولاً بذلك التفكير خارج أطر البينذاتية ,حيث إنزلاقات الأنا داخل مفاهيم : العقل ,الروح ,الإرادة,و الوعي...ففي حضرة الشعر تنفلت معاني الخفاء و التحجّب و اللاانكشاف ,لتحل محلها معاني الاشراق و النور التي ينكشف بموجبها الوجود الأصيل.

يريد هيدغر من خلال حديثه عن العلاقة بين الشعر و الفكر,أن يحدّد ماهية الفكر .كما يريد أن يحدّد أيضا ماهية الشعر ,و رغم الاختلاف المتباعد بينهما إلا أن ((وجود غاية واحدة ,و أرضية واحدة, تكشف عن علاقة الجوار بين الشعر و الفكر.))[3] و هو إذ يُفكّر بجوار الشعر و الفكر فإنه يُفكّر كذلك بجوار المفكر و الشاعر ,بحيث لا يقوم الثاني إلا بالأول .يقول هيدغر: ((قد نعرف الكثير عن العلاقات القائمة بين الفلسفة و الشعر ,و لكننا لا نعرف شيئاً عن الحوار بين الشاعر و المفكر ,و هما يقيمان الواحد بجوار الآخر فوق جبلين متباعدين.))[4]

يجد هيدغر نفسه قابعًا على مقربة من المفكر و الشاعر ,فإذا كان المفكر يهيئ الفسحة التي ينتشر فيها العالم,فإن الشاعر يُنظّم الانتشار كلاماً شعرياً ,بحيث يكون هذا الكلام الشعري هو ما يسمح

---

[1]- مارتن هيدغر,ما الفلسفة؟ما المتافيزيقا؟هولدرلين و ماهية الشعر,تر,فؤاد كامل و محمود رجب,مراجعة,عبد الرحمان بدوي,دار الثقافة للطباعة و النشر,القاهرة,ط2, 1974 ,ص 15.

[2]-M. Heidegger, Achèvement de la métaphysique et poésie, tr, Adéline Froidecourt, nrf, édition Gallimard, 2005, p156.

[3]- Martin Heidegger, Acheminement vers la parole, tr, jean beaufret, wolfgan brokmeier, François fedier, edition Gallimard, France, 1976, p112.

[4]- مارتن هيدغر,ما الفلسفة؟ما المتافيزيقا؟هولدرلين و ماهية الشعر , ص 136.

بسحب اللغة من وجودها الزائف ,و بذلك تكون ((اللغة هي التي تحمل تفاعل الرباع...و في هذا التفاعل "يحدث" القرب.و القرب و القول أسلوبا الإظهار,أي أسلوبا "كينونة" اللغة ,و احضارها للموجودات من التحجّب إلى النور,تلك هي ماهيتها.))[1]

2/شعرية الخطاب الهيدغري (هولدرلين نموذجاً):

يصل هيدغر من خلال المقابلة التي أجراها بين الشعر و الفكر,إلى نتيجة مفادها أن حكاية الوجود تقع في النهاية على مقربة من حوار الشاعر والمفكر ,و للتعبير عن هذا الحوار,لا بد لنا أن ندخل في "تجربة شعرية" مباشرة,و هو ما لا يتأتى لنا إلا إذا كنّا شعراء أو مفكرين.و عليه فإن ما يدوم و يبقى ,يحصل من خلال كلام الشعراء و المفكرين ((فوحدهم الشعراء و المفكرون يتحكمون في الكلمة.))[2] يقولها هيدغر بكل ثقة,و هو ما سيفسّر اهتمامه بالكلمة المنطوقة شعرياً,بل المجال الذي يُفصح من خلالها الوجود عن نفسه.ووحده الشاعر – بحسن اصغائه لنداء الوجود- يستطيع أن يؤول ما هو حادث في العالم.

يعود هيدغر من أجل استجلاء ما هو متحجّب ,و سحبه إلى الحاضر ,يعود إلى الحوار مع الشعراء,وهو من أجل ذلك ,يختار "هولدرلين" كشاعره المفضّل,بل هو " شاعر الشاعر".الأمر الذي يقودنا إلى التساؤل عن سبب اختياره لهذا الشاعر بالذات و ليس "شكسبير",أو "غوته"مثلاً ؟بل لماذا قال "هيدغر" في مؤلفه"دروب الغابة "بأن "هولدرين" هو شاعر الشعراء؟

يحاول هيدغر أن يرسم صفات الشاعر بين لحظتي المجاورة الشعرية و الفكرية ,أملاً في العودة إلى البدء الأول للوجود,و هو إذ يفكّر في مهمّته التي يضعها على عاتقه منذ تقويضه التاريخي,فلأنه أراد أن يُحاكي الكلمة الشعرية لتقوّل "جوهر الكينونة الأصيلة",و هذا ما نلمسه في كتابه "مقاربة هولدرلين" ,حيث يُطلق هيدغر العنان للقول الشعري بما هو "مكان الأصل".يقول هيدغر في هذا المعنى: ((عندما يُفكّر في السفر إلى الخارج,بما هو سفر أساسي ,فإن الفكر الأمين يُفكر في مكان الأصل ,بوصفه مكاناً أساسياً.))[3] و عليه فإن هيدغر يفكّر بموجب ذلك في الأصل الألماني ,ذلك

---

[1]- مارتن هيدغر ,نداء الحقيقة ,ص 116.

[2]-M. Heidegger, Introduction de la métaphysique, op, cit, p 140.

[3]-M. Heidegger, Approche de Hölderlin, op, cit, p 192.

أنّه وحدها الأمة الألمانية من يحق لها التفكير داخل المثوى الأصلي للوجود ,بحيث يقوم ((هذا الثاوي (الساكن) يهيء المكان القابل للتاريخ,أين يجب للإنسانية الألمانية أن تتعلّم بدايةً أن تكون في مكانها.من أجل أن تقدر -حين يحين زمن ذلك- على الإقامة لحظة توازن المصير.))[1] من أجل ذلك أيضاً نجد هيدغر يشيد بأصوله الفلاحية و يتمسّك بها ,لاعتقاده أن حياة الفلاح تكون أقرب إلى الاستجابة لنداء الوجود.و الإقامة لا تكون قرب عالم التقنية,المليء بالتحجّب و الظلام,بل الإقامة ستُحفظ تحت نداء الشعراء ,الذين يكونون أقرب إلى الحقيقة.يقول هيدغر: ((إن كل ما هو حقيقي و أصلّي لن يصل إلى النضوج ما لم يصل الإنسان إلى نداء السماء الأكثر سمواً,و أن يبقى في الوقت نفسه تحت حماية الأرض التي تحمل و تنتج.))[2]

لم يكن سهلاً على هيدغر الخروج عن مقولة الذات كما حدّد معالمها أفلاطون ,و أتمّ معلَمها ديكارت,ففي خضم الفكر المناهض للذاتية يعود هيدغر إلى تجربة هولدرلين ,من حيث هي تجربة تعلّقت في معظمها بمجاوزة الموروث الإغريقي .ليجد هيدغر في أشعاره الوضاحة "قفزة نوعية" ,بموجبها يراهن هيدغر على الوجود كلاماً شعرياً ,و بذلك ((يصبح القصيد الهولدرليني مضاءة للعتمة المفهومية في النص الميتافيزيقي ,و انفتاحاً على وحدة القول الشعري.))[3] من أجل ذلك ينطلق هيدغر في كتابه "مقالات و محاضرات*" من مقولة هولدرلين , "إن الإنسان يسكن العالم شعرياً" .ليتجه بهذا القول إلى أن "الشعر" هو مسكن الإنسان و العالم" ,فالشاعر بكلامه الشعري يستطيع أن يعيد ما تعجز اللغة عن قوله بصوت مرتفع,فوحده الشاعر يقدر على تحويل الكلام الداخلي الخافت إلى كلام مسموع عن طريق القصيدة الشعرية.

يتبدى فن الشعر مع هولدرلين على أنه أكثر الفنون إظهاراً للعالم ,بموجبه يرسم الدازاين كينونته في العالم بوصفه ذلك الكائن الذي يملك أخطر الملكات ,ويقصد بها اللغة من حيث هي شرط انفتاح الموجود على العالم ,و بذلك تكون ((اللغة -حسب هيدغر- هي التي تضمن أن يكون الإنسان بوصفه

---

[1]- M. Heidegger, Approche de Hölderlin, op, cit, p192.

[2]- M. Heidegger, Question III et IV, op, cit, p 12.

[3]- علي الحبيب الفريوي ,مارتن هيدغر "الفن و الحقيقة", ص 247.

*- يخصّص هيدغر في كتابه"مقالات و محاضرات" فصلاً يبيّن فيه كيف يسكن الإنسان في الشعر.أنظر: M. Heidegger, L'homme habite en poète, in Essais et Conférances, op, cit, p224 jusqu'à p245.

كائناً تاريخياً.))[1] مما يعني أن اللغة تاريخية ,و هي لا تكون كذلك إلا في الحوار ,حيث يتمّ الكشف عن "القولة" بما هي سماع و إصغاء ,يقول هولدرلين: ((منذ أن كنَّا حواراً ,وكان باستطاعتنا أن نسمع بعضنا البعض الآخر.))[2] و منذ ذلك الوقت ,أخذت اللغة موقعها في التاريخ على أنها حوار ,و أصبح الكلام صفة ملازمة للكائن ,بل تحوّل العالم إلى كلام عن طريقنا نحن أنفسنا.و لما كان الشعر هو تأسيس للكلام ,يكون الشاعر هو الذي يؤسس الكينونة كلاما شعرياً ,يقول هولدرلين: ((لكن ما يبقى,يؤسسه الشعراء.))[3]

يُطلق هولدرلين العنان لخياله ليظهر ما كان متخفيا من خلال القول الشعري ,الذي من شأنه أن يواجه العالم الواقعي,فيظهر عالم الحياة من خلال عالم الشعر .و أكثر من ذلك يظهر عالم الدازاين بما هو وجود-في-العالم,كأنه حلم ساطع في الأفق ,و كما قالت "بانثيا" في رواية "أنبادوقليس" لهولدرلين: ((أن يكون المرء (الشاعر) ذاته,ذاك هو الحياة,و لسنا نحن غير حلم بها.))[4]

إن التفكير داخل تجربة الشعر الهولدرليني ,لا يعني عند هيدغر سوى التفكير في جوهر الشعر ,الذي يكمن في كلام الشاعر .و منه فإن الوجود/العالم يقيم داخل اللغة ,و يتكلّم لغة الشعر الذي ينظّمها الشاعر في القصيدة.و هو بذلك (هيدغر) إنما يريد أن يصطنع من خلال مقاربته الفكرية ,الشعرية , أرضية جديدة تقوم أساساً على الشعر-المفكّر ,الذي يسمح بدوره بحمل الكينونة إلى اللغة من خلال مساءلة جوهر الشعر. بل ((إن الشاعر يسمّي الآلهة ,و يسمّي كل الأشياء بما هي عليه .إن هذه التسمية لا تقتصر فقط على منح اسم لشيء يُفترض أن يكون معروفاً من قبل,و لكن الشاعر في قوله الكلام الجوهري ,إنّما يدفع الموجود لأن يُصبح مسمّى,و بفعل هذه التسمية لأن يكون ما هو عليه ,يُصبح معروفاً بوصفه موجوداً.))[5] لكن إذا كان الشعر تسمية للآلهة ,فبأيّة لغة تتحدث الآلهة؟

---

[1]- مارتن هيدغر ,المنادى انشاد,قراءة في شعر هولدرلن و تراكل,تر,بسام حجار,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء,ط1, 1994, ص 59 .

[2]- المصدر نفسه, الصفحة نفسها.

[3]- هلدرلن ,قصائد مختارة,تر,فؤاد رفقة,دار صادر,بيروت, ط1, 1989, ص 150.

[4]- مارتن هيدغر,ما الفلسفة؟ما المتافيزيقا؟هولدرلين و ماهية الشعر,ص 16 .

[5]-مارتن هيدغر, المنادى انشاد ,ص 62.

يرتبط سؤال هيدغر في هذا المقام بالذات بهولدرلين الذي يجيب قائلا : ((إن الإشارات هي منذ العصور السحيقة لغة الآلهة .))[1] و عليه, ترتبط لغة الشاعر بإشارات و رموز الآلهة, التي تتأسس بموجبها الكينونة, بل إن الشاعر يقول المقدس لأنه يبحث عن الخلاص. من جهة أخرى يتناول هيدغر في محاضرته "لم الشعراء؟"1946 قصائد هولدرلين و ريلكه,و يحاول من خلالها إخراج "الفعل الإبداعي" منها إلى حيّز الوجود ,ليكون الشاعر و الفيلسوف كلاهما يتخذ من الكلام ,سواء منه المنطوق أو المكتوب ,وسيلة لإعادة ما تمّ نسيانه و تهميشه.و يكون ((القول الشعري ليس إلا تفسيراً لصوت الشعب.))[2] هنا يتساءل هولدرلين: لماذا الشعراء في زمن البؤس ؟[3] وهولدرلين بذلك يبدأ بالكشف عن زمن الآلهة,و تشبيهه بزمن البؤس ,الذي يعني به زمن التقنية ,حيث أصبح فيه الإنسان محكوما أداتيا.

إنه بالكلمة الشعرية يُستنطق ما هو متستّر و مضمر,يحاول هولدرلين أن يكشف عن بعض ما لم يُقال من خلال قصيدته "صوت الشعب" ,الذي يقول فيها في آخر مقطع منها:

((إنّي أمجّد صوت الشعب ...

هذا الصوت الهادئ...

أمجّده لأنه ورع...

و لأني أحب السماويات.

لكن بحق الآلهة و الناس ألا يطمئن...

هذا الصوت في هدوئه))[4]

يربط هولدرلين صوت الشعب بصمت الآلهة,بحيث يكون الشاعر هنا وسطا بين كليهما ,و ضمن هذه الفسحة الوسطية,يتعيّن وجود الدازاين داخل العالم ,و ينكشف في ظل مسرح يخيّم عليه الحزن من وراء

---

[1]- مارتن هيدغر ,ما الفلسفة ؟ما الميتافيزيقا ؟هولدرلين و ماهية الشعر ,ص 17.

[2]-M. Heidegger, Approche de Hölderlin, op, cit, p58.

[3]-M. Heidegger, Chemins qui ne mènent nulle part, op, cit, p 324.

[4]- مارتن هيدغر ,ما الفلسفة ؟ما الميتافيزيقا ؟هولدرلين و ماهية الشعر ,ص 17 .

غياب الإله ,و صمته عمّا يحدث داخل العالم .و هو يشبّهه بالقادم الذي يأتي متأخرا ,يقول هولدرلين في قصيدته"خبز و خمر" معبّرا عن اغتراب الكائن و ضياعه في العالم:

((لقد جئنا يا صديقي, هنا متأخرين

صحيح أن الأرباب تعيش ,لكن في عالم آخر فوق رؤوسنا

و هي تعمل بلا انقطاع, لكنّها فيما يبدو لا تحفل, بما إذا كنا نعيش

هذا هو مدى اهتمام الموجودات السماوية, ألا ترى أنه منذ شهور, و هي تبدو

لنا أمدا طويلاً, تسحب كل أولئك المفضلين في حياتنا إلى أعلى

عندما أشاح الأب بوجهه عن الإنسان

و خيّم الحزن على الأرض كلها...))[1]

لقد كان هولدرلين حسب هيدغر الشاعر المجنون ,الذي استطاع ترويض اللغة ,و حث الوجود على التكشّف و اللاتحجّب ,و في خضم ذلك ((لم يعد الإنسان هو المتكلّم ,فاللغة تتكلّمنا ,و نحن علينا الإصغاء إلى صمت الكلام ,و إلى روح النشيد.))[2] و لما كان الشاعر هو وحده من يحسن تفكير الوجود المحمول إلى اللغة ,كان من الطبيعي أن يحدث لقاء بين الشعري و الزماني الوجودي ,فوحده الشاعر من يُخوّل له استدعاء المقدس ,و هو وحده القادر على الوقوف تحت ظل الآلهة ,و كنههم بكل تجلّياتها العاصفة ,لأنه وحده من يستطيع أن يؤول قداسة الآلهة و يسمّي المقدس و يجيب النداء , وبذلك ((يؤسس قدوم الزمان المقدس بداية تاريخ آخر ,و معه يصبح ما يأتي مقولاً في قدومه بالنداء.))[3]

يحاول هيدغر من خلال تعرّضه لشعر هولدرلين أن يكشف عن الشاعر بوصفه إلهاً,بحيث يصبح الشاعر عنده بمثابة المخلّص عند المسيحي,يقول هيدغر: ((إن الإنسان الذي يقيم شعرياً في الأرض,يحمل كلّ ما يظهر —السماء و الأرض و المقدس — إلى البداهة الثابتة لذاته.البداهة التي تصون و

---

[1]- جون ماكوري,الوجودية ,تر,امام عبد الفتاح امام,مراجعة,فؤاد زكريا,عالم المعرفة,الكويت,1982,صص 285-286.

[2]-علي الحبيب الفريوي ,مارتن هيدغر "الفن و الحقيقة",ص 250.

[3]- المرجع نفسه ,ص 248.

تكون خلاصاً لكلّ شيء. و هو بذلك يحمل كل ما يظهر,في صورة العمل الفني إلى نصاب ثابت و متين,أي التأسيس.))[1]

لقد وجد هيدغر إذن في الكلام الشعري ,و القصيد الهولدرليني ما يشبه الشاهد الأخير على بعض آرائه الأنطولوجية,وهو إذ يستبدل لفظة "إنسان" بلفظة "Dasein" (الموجود-هناك/الكينونة-هنا) ,و يرى أن العبور إلى الكينونة يتم عن طريق اللغة ,بوصفها النواة الأنطولوجية الدائمة في الدازاين,بل هي مسكن الكينونة الأصيل,فلأنه أراد أن يدفع باللغة الشعرية إلى أوجّ انفتاحها ,لأنها وحدها التي تعطينا إمكانية الإقامة بالقرب من الوجود المنفتح على العالم.

[1]- مارتن هيدغر ,المنادى إنشاد ,صص 90-91.

الفصل الثالث

المنعرج اللغوي التأويلي و إنهاء الميتافيزيقا

تمهيد

المبحث الأول:العود الأصلي للميتافيزيقا داخل فكر "المنعرج"

المبحث الثاني: التخريج الهيدغري للمنعرج اللغوي داخل مسألة العالم

المبحث الثالث:العقلانية و اللغة:نحو براديغم جديد للعقل (التأويلي)

المبحث الرابع: مقاربة العالم و اللغة بمسألة التأويل

المبحث الخامس: هيدغر ومسارات الفكر ما بعد المنعرج

تمـهيـد:

تـقودنـا التحليـلات الـوجـوديـة للفكـر الـهيدغري -في نهايـة المطاف - إلى محـاولـة فهم الكينونـة فهماً صائبـاً ,لا يخـرج عن الإطـار المحـدّد الذي أراد هيدغر الـوصـول إليـه.غيـر أن مثـل ذلك الـفهـم مرتبط بكينـونـة الدازايـن ,و هـو الأمر الذي دعى هيدغر إلى القول : ((إن فهم الكينـونـة هـو ذاتـه تعيّن كينونة خـاص بالدازاين.))[1] و عليه ,فـإن ما يريـده هيدغر -من خلال فهم الكينونة- هـو الوصـول إلى تـأويـل نهـائي للوجـود ,مخرجـاً إيـاه من تـأويـلية الموجـود ,التي حاصـرت تـاريـخ الميتافيـزيقـا الغربيـة منذ الإغريـق ,حتى عصـر الحداثـة.و هذا ما يبـرر انـتقـالـه من الوجود إلى الـزمان,و منـه إلى التزمّـن ,فـتجنيـد كل مـا من شأنـه أن يُصَفّي الوجـود من شـوائـب القلـق الذي يكشـف عن العـدم ,و منـه إلى الصمت و الاصغـاء ,ليصـل إلى اللغـة بـوصفهـا مسكـن الكينـونـة و مـلاذهـا الثـاوي في "الشعـر" بـوصفـه الجوهـر الأصـلي لـوجـودهـا.و هـو بـدوره مـا يكشـف عن الانفتـاح ,انفتـاح الأرض على العـالـم ,الذي يفصـح عن الحقيقـة و اللا-حقيقـة.

هكذا,يخـطُّ هيدغر - عبـر رحلتـه الوجـوديـة - الخطـوط الأولى لتقويض تـاريـخ الأنطولـوجيـا التقليديـة في تـواشجهـا مع تحليليـة الدازايـن,التي تكشـف بدورهـا عن الهرمينوطيقـا* كعنصـر أسـاسي لتكملـة البحث عـن سـؤال معنى الكينـونـة أولاً ,و تـأويـل مـا يمكن التوصـل إليـه من جـراء ذلك الطـرح الوجـودي المشـروع للسـؤال ثانيـاً,يقـول هيدغر: ((حيـن يصيـر تـأويـل معنى الكينـونـة مهـمّـة برأسهـا,فإن الدازاين لـن يكـون الكـائن الذي ينبغي أن يُسـاءل أولا فحسب,بـل يكـون فـوق ذلك الكـائن الذي يسلك بعدُ أبـداً ضمـن كينونتـه إزاء الذي عنـه يُسأل في هذا السؤال.))[2]

تـعتبـر الهرمينوطيقـا إذن,مرسى الدازايـن النهائي ,الذي بموجبـهـا ينتقل الفكـر نحـو بـراديـغم جديـد,يرسم طريـقـه نحـو تـأويليـة اللغـة ,بـوصفهـا منعطفـاً حاسمـاً لـإخـراج حـقيقـة الـوجـود من دائـرة الميتافيـزيقـا التقليـديـة,بـل إن هيدغـر "ينعطـف" للعبـور من الكينـونـة و الزمـان" إلى "الزمـان و الكينـونـة" .من هنـا وجب

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 63.

*- كلمة هرمينوطيقا Hermeneutik مصدرها الفعل اليوناني Hermeneuein ,بمعنى يفسّر,وتشير في الغالب إلى تأويلات النصوص الدينية في الكتاب المقدس.لكن تتخذ الفنومينولوجيا الهرمينوطيقية عند هيدغر معنى مختلفاً ,بحيث تصبح الفنومينولوجيا تفسيراً يبيّن خصائص الآنية و بنيتها,و تشير إلى البنيات القبلية التي تجعل فهم الوجود ممكناً.أنظر:صفاء عبد السلام جعفر,الوجود الحقيقي عند هيدغر,ص100

[2]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 68.

التفكير في "واو العطف" التي بقدر ما تكشف عن ذلك الربط بين الوجود و الزمان و العكس,بقدر ما تكشف عن ذلك العطاء الوجودي,و منه دنو الكينونة من الحضور عن طريق الزمان,.ضمن هذا الاتجاه يمكن متابعة مراحل تطور المنعطف من خلال نصوص هيدغر الأخيرة ,التي و إن تعرضت لأهمية ذلك المنعرج التأويلي للغة ,فإنها تكشف بطريقة ما عن اللامفكّر فيه في الفلسفة الهيدغرية نفسها.

يحتاج تشكّل المنعرج –بموجب ذلك-إلى تحول جذري في تاريخ الفلسفة الغربية,يهدف أساساً إلى القطع مع الخطاب الميتافيزيقي,و التحضير لبزوغ فجر فكر جديد يساير عصر التقنية و العولمة.وبذلك أصبح ((العبور إلى البدء الآخر إنما هو أمر محتوم ,و على ذلك فنحن لا نعلم إلى أين تذهب,و لا متى تمر حقيقة الوجود ,و لا مما يستمد التاريخ بما هو تاريخ الوجود صراطه الأشد شقاء و اقتضاباً.))[1] لكن ألا يكشف هذا عن عود الميتافيزيقي ,و منه العودة إلى استنفاذ الأسئلة الميتافيزيقية,من أجل الوصول إلى تأويل حاسم للوجود ؟ ألا يعني هذا التحليق فوق سحابة الماضي من جديد لإنقاذ أمل المستقبل؟

يبدو أن تصدّع القول في مؤلف 1927,هو ما يدفع بهيدغر في كل مرّة إلى تصويب وجهته نحو فكر المنعطف الذي عبّر عنه بوضوح في محاضرة 1962.و هو ما يجبره أيضاً على إعادة طرح الأسئلة من جديد,و إحداث مناظرة مع كل فلاسفة الغرب ,بحيث ((تكون أسئلة الفلسفة في القرن السابع عشر ,هي نفسها أسئلة أفلاطون و أرسطو,مع بعض التحولات التي طرأت على تاريخ الميتافيزيقا.حدثت مع أفلاطون و أرسطو(البدء الأول),ثم مع ديكارت و كانط (استئناف البدء),ثم مع هوسرل و نيتشه (نهاية البدء الأول).رب تحولات تعد انقلابًا داخل التطور العام للفكر,يحاول هيدغر رصده ضمن فكر المنعطف,و كل منعطف هو تصويب لمنعطف آخر.))[2]

لكن لا يجب أن يقودنا التحليل السابق إلى أن هيدغر يريد أن يقدم لنا إجابات واضحة ,و محدّدة على الأسئلة التي وضعها فيما يخص الكينونة و غيرها,بل إنه يتحاشى تقديم مثل تلك الإجابات التي لا تدل إلا على قصور الفكر و حدوده .لذلك نجده ينتقل من سؤال الوجود إلى سؤال الزمان ,و منه إلى البحث عن خبايا العالم ,و من سؤال الحقيقة إلى سؤال الماهية,و من الفنومنولوجيا الترنسندنتالية إلى

---

[1]- فتحي المسكيني,نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإله الأخير,ص 433

[2]- اسماعيل مهنانة,الوجود و الحداثة,صص 24-25

فنومينولوجيا تـأويليـة تهتم بمسألة الـوجود لا الموجود.بـل إن استعـادة هوسرل ذاتـه يحتاج إلى استنفاذ منهجه الفنومينولوجي وهـو مـا يؤكده ريكور بقوله : ((إن استعـادة هوسرل ذاته تحتاج إلى وضع الفنومينولـوجيا موضعـاً وسطـاً بين الفلسفـة التـأمليّة (الديكارتيـة) و التـأويليـة(هيدغر),فليست الفنومينـولوجيا علماً صارماً كمـا يعتـقد هوسرل ,و إنّما هي أسلوب يُحـوّل المحتـجب إلى مرئي قـابـل للوصـف و التأويـل.))[1]

المبحث الأول : العـود الأصلي للميتـافيـزيقـا داخـل فكـر "المنعطف التـأويلي" :

يـبدو أن انسداد القـول في مؤلـف "1927",ووصـول المسألـة الأنطولـوجية إلى دائـرة مفرغـة,هـو مـا يجعـل هيدغر كل مـرة "ينعطف" نـحو إعـادة مساءلـة النصـوص الفلسفيـة الكبرى,بـل إن ثمـة "ثـورة" تُـشبه "الثـورة الكوبـرنيكيـة" التي أحدثـها كانط في تـاريخ الفلسفـة,هي ما يدفـع بـهيدغر إلى إعـادة "تقـويـض" تـاريـخ الميتافيـزيـقا الغربيـة داخـل مسألـة الاختـلاف ,و يجبره على العودة مرة أخرى إلى التفكير داخـل "الأسطورة" اليـونـانيـة التي ينقلهـا هيراقليطس إلى شعـاع اللوغـوس بـوصفـه نـور المعقـولية ,المنقلب "قشتـالا" مع هيدغر,و بشهـادة غادامير: ((فإن مـا يميّز فكره (هيدغر) هو الجذرية و الجرأة اللتين من خلالهما صوّر تقدم الحضـارة الغربيـة إلى الثقافة التقنيـة الشـاملة في عـالمنا المعـاصر بـأنه قدرُنا ,و بـأنه النتيجـة الضـروريـة للميتـافيزيقا الغربيـة.))[2]

يكتـب هيدغر-في الفقـرة (6) من كتـابه "الكينونـة و الزمـان"- فـقـرة قصيـرة عن"مهمّة تـفكيـك تـاريـخ الأنطـولـوجيـا" ,يبيّن فيهـا الخـطـوط العريـضـة لتفسيـر تـاريـخ الميتافيـزيـقـا الغربيـة تفسيـراً جديـداً,بالمقابـل يكشـف هيدغر من خلال ذلـك ,عن جزئـه الثـاني من المـؤلـف المـذكـور آنـفـاً ,الذي أراد أن يُعنونه بـ"الـزمـان و الكيـنونـة".إلا أن ذلك الجـزء لـم يظـهـر حتى الآن,و إنّمـا فقط عولجـت إشكالاته في كتـب أخـرى متفـرقـة مثـل:"مدخـل إلى الميتـافيزيقـا" (1935) ,"مقـالات و محاضـرات" (1945) ,"مـا الفلسـفـة؟" (1956)...الخ ,و هـي كلّها تـدور حـول فكـرة واحـدة ,هي " تقـويـض تـاريـخ الأنطـولـوجيـا الغربيـة". و عليـه,فـإن السـؤال الذي يهتم هيدغر بتوضيـح معالمـه في هـذا المقـام ,يتبيّن من خلال هذا القـول : ((بـأي شكـل يمكـن تـأويـل المـوجود ,أكـان بوصفـه روحـاً بمعنى الروحيـة,أو بوصفـه مـادة و قـوة

---

[1]- علي الحبيب الفريوي,مارتن هيدغر "الفن و الحقيقة",المرجع السابق,ص65

[2]- غادامير,طرق هيدغر,المرجع السابق, ص 32

بمعنى المادية,أو بوصفه صيرورة و حياة,أو بمثابة مثول ,إرادة,جوهر,ذات,طاقة,أو بمثابة العود الأبدي للمشابه.إن الموجود بوصفه موجودا يظهر في كل مرّة في ضوء الوجود.))[1] و هو الذي يحيلنا مرة أخرى إلى تفقد التاريخ الأنطولوجي ,بل إلى تفحّص ذلك المفقود في ورقاته الميتافيزيقية ,أي " الطرح الوجودي الخالص" ,بمعنى أن مسألة الكينونة كانت مطروحة من قبل ,لكن في خضم اهتمامها بالموجود ,و تغاضيها عن الوجود هو ما جعل المسألة طي النسيان.

يعود هيدغر في كتاباته المتأخرة (في الحقيقة 1940) إلى "أفلاطون" و بالضبط إلى أسطورته الشهيرة عن "الكهف",حيث الحقيقة بما هي"أليثيا"(انكشاف و لاتحجّب) هو مغزى الطرح الأفلاطوني ,بل إنّه ((و بخضوع كل شيء لتصور الأفكار و بخاصة فكرة " العقل" ,فقد أُسدل النسيان على المفهوم المبكر للحقيقة بوصفها تكشّفا أو "لاتحجّب"(أليثيا) .ولم يعد الإنسان الغربي يحس بالوجود كشيء متدفق...بل يحسّه على هيئة حضور سكوني لفكرة ما...يعني ذلك أن التفكير الهادف إلى الحقيقة ,قد تأسس لا على الوجود ,بل على إدراك فكرة,و الوجود قد تمّ تصوره لا كخبرة حيّة ,بل كفكرة,كحضور دائم لازماني.))[2] و عليه,فإن المنعطف الذي أحدثه أفلاطون في تاريخ الوجود يرتبط أساساً بمفهوم الحقيقة التي أصبحت عنده بمثابة سداد النظر أو صواب الرؤية Recktung ,و هو ما سبق و أن بيّناه من قبل.

يتعرض هيدغر في خضم ذلك إلى تأويل فلسفة "كانط" ,و هو من خلال ذلك لا يريد أن يكشف لنا عمّا قصده كانط و حسب ,و إنّما يبحث في ما لم يقله كانط نفسه ,و هذا ما تكشف عنه دورة شتاء 1935 ,حين ألقى "هيدغر" محاضرته التي أخرجها كتابا بعنوان"السؤال عن الشيء:حول نظرية المبادئ الترنسندنتالية عند كانط سنة 1962" ,حاول من خلالها الكشف عن التصور النهائي الذي استقر عليه فكره منذ كتابه "كانط و مشكل الميتافيزيقا 1929",و هو ما يدل على تطور الفكر منذ الفقرة (43) من كتابه "الكينونة و الزمان" ,الذي مهّد لمثل هذا التطور. يقول هيدغر في هذا المقام : ((إن المرء يُثير السؤال

---

[1]-Martin Heidegger, Questions I, tr, Henry Corbin, Roger Munier, Alphonse de Waelhens, Walter Biemel, Gérard Granel, André Préau, Edition Gallimard, 1968, p 24

[2]- عادل مصطفى,فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر,رؤية للنشر و التوزيع,القاهرة,ط1, 2007,ص 242

عن "واقعية" "العالم الخارجي" دون توضيح سابق لظاهرة العالم بما هي كذلك...إن تظافر الأسئلة و خلط ما تريد أن تقيم الدليل عليه مع ما قامت الأدلة عليه,و مع ما به تتمّ إقامة الدليل,إنّما ينكشف جليّا عند كانط في "دحض المثالية".))[1] مثل هذا القول هو ما يعيد بنية الكينونة -في- العالم إلى شكلها التأسيسي المفارق ,و القائم على فكر الاختلاف.

إن العود إلى الأصل ليقتضي إذن " القفز" على كل ما حققه تاريخ الفكر الغربي ,و الانزياح عن إحداثيات الفكر القديم.إلا أن ذلك لا يعني التنكر لما وصل إليه هذا الفكر أو ذاك ,بقدر ما يعني استئناف الطرح حسب ما يتطلبه الفكر الجديد .و هو الأمر الذي دفع هيدغر إلى تفكير فكر الحداثة,من خلال فتح الحوار مع نيتشه بوصفه آخر الميتافيزيقيين ,الذي فكّر في الحداثة من منظور مختلف. يقول هيدغر: ((حيثما يوجد واقع توجد إرادة vouloir ,و حيثما توجد إرادة توجد إرادة الإرادة ,و حيثما توجد إرادة الإرادة ,هنا تتواجد إمكانيات تنمية ماهية الإرادة باعتبارها عقل,حب أو قوة.))[2]

يتمحور الفكر النيتشوي في معظمه حول فكرة الإرادة ,"إرادة القوة" بما هي الفكرة التي تكشف عن حدوث الوعي داخل عالم يسير نحو العدمية ,بل ((إن العدمية —كما يقول فاتيمو-هي هذا الشرط,حيث يقر الإنسان بشكل واضح و صريح بغياب الأساس بوصفه يدخل في تكوين شرطه ,و هو ما يدعوه نيتشه موت الإله.))[3] بذلك تصبح مقولة "الإنسان الأعلى" مع نيتشه مقولة أساسية في فلسفته التي تنكر الإله ,بل إن ذلك الإنكار لهو دليل على ثورة نيتشه ضد تاريخ الفلسفة الغربية بما في ذلك الفلسفة اليونانية و الوسيطة و الحديثة ,التي همّشت الإنسان كذات يملك إرادة حرة ,بموجبها يكون المشرّع الوحيد لقراراته.

إن التصور الفلسفي للإنسان كذات — في نظر هيدغر- يرجع إلى تلك اللحظة التي أصبح يُنظر فيها إلى الذات من حيث أنها مصدر الحقيقة و اليقين ,لتُصبح الموجودات الأخرى مجرّد مواضيع تمتثل أمام الذات ,يقول هيدغر: ((لقد بدأت في اللحظة التي تحرر فيها الانسان ليعود إلى ذاته ,من حيث هو ذلك

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان,ص 380.

[2]-M. Heidegger, Nietzsche, tome 2 tr, Pierre Klossowski, Gallimard, 1971, p 381

[3]- جياني فاتيمو ,نهاية الحداثة ,صص 133/132

الموجود الذي يتمثّل بنفسه ,بردّه كل الأشياء نحو ذاته كحكم أعلى... لقد أصبح المعنى الأفلاطوني تصوراً يُدرَك ,و حينئذ ستنقلب ماهية المعنى و الرؤية و الحضور الأفلاطوني إلى تمثّل يمثل أمام ذاك الذي يمتثل الأشياء و يضعها أمامه.))[1] و هذا تأكيد على أن هيدغر يتفق مع نيتشه في قلبه لمفاهيم الميتافيزيقا الغربية ,بل إن الدارس لفلسفة كل منهما سرعان ما يلتفت إلى ذلك التقارب بين فكرة "الدازاين " الهيدغرية و فكرة "الإنسان الأعلى" النيتشوية.

لكن تبقى الفلسفة النيتشوية -هي الأخرى- حبيسة الفكر الميتافيزيقي بالرغم من محاولة نيتشه في الحط من قيمة الميتافيزيقيات الغربية ,بل و إزاحتها نهائياً من خارطة فكره ,و يبقى ((قلبه للمثالية الأفلاطونية و ماديته المستوحاة من فيورباخ و بعض الفلاسفة الوضعيين في القرن التاسع عشر,إنّما يُعززان النسق l'ordre الماورائي.))[2] بل إن الفكر النيتشوي قد ظل سجين "مسألة القيمة" ,لتبقى مسألة الوجود حكاية منسية ,و يبقى الإنسان متضمناً داخل بَدْره الأول. ((فتكفينا —حسب هيدغر- نظرة متفهمة إلى ما يدور في عصرنا النووي لتكتشف أن العالم يستمر ,و هو خاضع للحساب حتى بعدما أعلن نيتشه موت الله ,و أن الإنسان يبقى متضمّناً في حساب حيث كل شيء يُحتسب ,و يُسند إلى مبدأ العلة.))[3] و منه ,فالأنطولوجيا التقليدية بما فيها فلسفة نيتشه قد غفلت عن حقيقة الوجود و معدنه الأصلي.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : ألا يكشف تقويض تاريخ الميتافيزيقا عن حقيقة واحدة تتعلق بالمنهج الفنومينولوجي الذي اعتمده هيدغر منذ بداية تحويراته الفلسفية؟

لقد كان هوسرل منذ بداية تفكّراته الفلسفية حول الفنومينولوجيا ,و إلى غاية 1927 يردّد كلمته المشهورة :((إن الظاهراتية هي أنا و هيدغر.))[4] لكن سرعان ما نجده يعدل عن مثل ذلك الموقف,خاصة بعد أن أخذ تلميذه المطيع درباً مغايراً لما عهده المسلك الفنومينولوجي ,بحجة أن فنومينولوجيا أستاذه قد وقعت في انسداد خانق فيما يخص مفهومها عن "قصدية الوعي" ,التي بقيت هي

---

[1]-M. Heidegger,Nietzsche,tome2,op,cit,p 183

[2]- بيير زيما ,التفكيكية دراسة نقدية,تعريب,أسامة الحاج ,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع,بيروت-لبنان,ط1, 1996, ص 46

[3]-مارتن هيدغر,مبدأ العلة,ص 111

[4]- غادامير, طرق هيدغر,ص 71

الأخرى -حسب هيدغر- محض مقولة ميتافيزيقية ,ليظل بذلك "مفهوم الوعي" متجذراً في الوصف الترنسندنتالي المتعذر التطبيق,وبذلك يبقى سؤال الوجود ,و منه مسألة العالم متعذرة عن الفهم الفنومينولوجي نفسه.من هنا نفهم عبارة هيدغر القائلة : ((إن مسألة الوجود لن تكون ممكنة في ظل فينومينولوجيا تُفسّر الظواهر تفسيراً ميتافيزيقياً.))[1] و هو ما يحاول هيدغر الابتعاد عنه ,و من ثمة السير بالفنومينولوجيا إلى طريق التأويلية ,بوصفه منعطفاً حاسماً لحمل رسالة الكينونة/العالم إلى هدفها المنشود.و من ثمة ((فإن الفنومينولوجيا في نسختها الترنسندنتالية ,تنفتح بصفة حاسمة على الهرمينوطيقا لأنها تشكّل كمثالية ,بمعنى جديد تماماً ,مثالية تتخلّى عن كل موقع لكائن بذاته ,لتثبت على العكس بأن الكائن ليس إلا ,و لا يمكن أن يكون غير كائن مؤول ,مضايف للمفهوم الذي يتكون لدينا بشأنه.))[2]

تكمن دعوة هيدغر الأساسية في تفكّر الوجود من الجانب الذي لم يتم التفكّر فيه من قبل فلاسفة الإغريق القدامى حتى عصر الحداثة ,و هي دعوة للتأمّل في الوجود الأصيل (الخالص) الذي لا يُنظر إليه من زاوية الموجود ,بل إن الموجود — في حد ذاته- يترك الوجود يسبح "هناك" ,ليُصبح الوجود بهذا المعنى "ترك" و "انعطاء" يقوده في النهاية إلى بلوغ قدره المحتوم ,و على إثر ذلك تكون ((الميتافيزيقا تحت كل أشكالها ,و في كل مراحل تاريخها ,هي قدر واحد .لكن ربما تكون أيضا القدر الضروري للغرب و شرط هيمنته الواسعة على الأرض بأسرها.))[3] وهذا ما يحاول هيدغر استفراده من خلال طرحه لسؤال الوجود ,الذي جرّ من ورائه فكرة التقويض ,و منه تبيان ما يحمله ذلك الوجود المنسي من تاريخ و مصير لتصبح المسألة متعلقةً بالطرح التاريخي.غير أن مثل هذا التوجه لا يهدف إلى التشكيك في جذور الأصل,بقدر ما تكشف عن عودة الأساس المشروع في حلّة جديدة ,تكون أقرب إلى الوجود منه إلى المعرفة.

يرمي هيدغر من خلال فكرة "العود" إلى إحداث تحول في علاقة الإنسان بالوجود لا الموجود ,الذي بالغت الميتافيزيقا من إعلائه ,يقول هيدغر في هذا المعنى: ((تعتقد الميتافيزيقا أن الوجود يمكن أن يوجد على علاقة مع الموجود...أكثر من ذلك يلتفت الفكر حصراً نحو الموجود... خاصة مع ديكارت و

---

[1]-J.P.Resweber, La Pensée de Martin Heidegger, Edition Privat, 1971, p 59

[2]- نبيهة قارة, الفلسفة و التأويل , دار الطليعة للطباعة و النشر, ط1, 1998, ص 40

[3]-Martin Heidegger, Essais et Conférences, op, cit, p88

العصور الحديثة,و بذلك فالفلسفة ستبتعد حتماً و تترك حقيقة الوجود. *l'estre))[1] و هو الأمر الذي يدفع بهيدغر منذ سنة 1930 إلى تغيير مساره الفكري ,من الوجود إلى حقيقة الوجود ,و من الحقيقة إلى ماهيتها ,ومنه إلى حقيقة الماهية ,بحيث لا يمكن فهم ظواهر العالم الخارجي بمعزل عن إشكالية الكينونة ,و لفهم الكينونة علينا العودة إلى التفكير داخل كينونة الدازاين. مثل هذا الفهم يتجلى –كما أوضحناه قبلا- بشكل جلّي ضمن مفاهيم "الانشغال" أو "العناية" ,و " الحضور" ,بوصفه حلقة الوصل بين عالم منظور إليه كعلامة ,و بين عالم يكون فيه الدازاين مرتبطا بالكينونة- في- العالم ,و تكون اللغة بما هي مسكن الكينونة واثبة لربط الاقتران بين العالم و الدازاين.

إن طريق الوجود عند هيدغر محفوف بمسارح كثيرة ,فمن"التقويض الفنومينولوجي" إلى "الأنطولوجيا الأساسية" ,و منه إلى طريق "التأويلية" التي ((استلزم المنعرج بموجبها أن يتحوّل موضوع الفهم, من اللغة إلى الماوراء-لغوي ,و من علاقة التواصل الخطية إلى فضاء عمقي يخرج بالدلالة من ثنائية الدال و المدلول ,إلى البحث في مدلول الدال و مدلول المدلول.و عند ذلك يتولّد تاريخ جدلية للتأويل بأن يتنزّل الميتا-لغوي ضمن استراتيجية فكر فلسفي جديد.))[2]

يتحوّل بموجب ذلك ,السؤال عن معنى الوجود إلى سؤال عن الحقيقة, التي ((لا تقوم –عند هيدغر- في إحالة العقل إلى الواقع ,بل في إحالة العقل و الواقع معاً إلى الأفق الأنطولوجي الذي يضيئها.إنها لا تقوم في المقياس الذي ينظّم تطابق النظرة ,بل في الفتحة التي تكيّف و تقوم شرطاً لكل أخذ لقياس.و بالجملة الحقيقة هي كشف الحجاب الذي يُخرج الوجود من النسيان.))[3]

---

*- يقترح هيدغر في كتابه"Apports de la philosophie" كتابة لفظة الوجود بـ"estre" ليدل بها على الاختلاف بين الوجود و الموجود.هذه الكتابة"estre" ما هي إلا تعبير عن الكتابة الألمانية "Seyn" أنظر: M. Heidegger, Apports de la philosophie, op, cit, p15

[1]-M. Heidegger, Apports de la philosophie, p199.

[2]-إبراهيم أحمد ,أنطولوجيا اللغة ,ص 128

[3]-عبد الرحمن بدوي ,موسوعة الفلسفة,ص 606

المبحث الثاني:التخريج الهيدغري لمسألة العالم داخل "المنعرج اللغوي":

يبقى الجواب عن سؤال معنى الكينونة داخل مؤلف " 1927" مرهوناً بمدى تجاوز لغة الميتافيزيقا الغربية ,التي عجزت عن إدراك حقيقة الاختلاف ,ومدى نجاح مهمّة "التقويض" .فمنذ الفقرة (3) يعزّز "هيدغر" فكره حول الاختلاف بإقامة فارقاً أنطولوجيا بين الفلسفة و باقي العلوم ,و هو ما يؤكده بقوله: ((إن ما هو أوّل من جهة الفلسفة ليس أن نضع نظرية في تكوّن مفاهيم علم التاريخ,و لا أيضاً نظرية المعرفة التاريخية,و لكن أيضاً ليس أن نضع نظرية في التاريخ بوصفه موضوع صناعة التأريخ,و إنّما تأويل الكائن على نحو أصيل ,و على نحو تاريخاني في تاريخانيّته.))[1] و هو ما أحاله إلى تأويل التاريخ من حيث هو ضياع و نسيان,ذلك أن مفهوم التاريخ عند هيدغر –كما سبق ذكره- ليس سرداً للأحداث المتعاقبة في زمن الماضي ,بل هو ما يتعلق بتزمين تاريخ الوجود داخل زمانية اللغة ,انطلاقاً من لعبة الظهور و الخفاء,الضوء و الظلام .و بشهادة هيدغر: ((فإن جوهر التاريخ يتحدّد انطلاقاً من الوجود بوصفه إشراقاً و ظهورا و انتشاراً ,انطلاقاً مما يظهر أمامنا و يختفي في الوقت نفسه.))[2]

لقد أراد هيدغر –منذ البداية- أن يُعطي للفلسفة حقها في السلطة ,التي فقدتها في خضم التصورات و المفاهيم الميتافيزيقية من قبيل:الذات ,العقل ,الروح ,الارادة...الخ ,بل إن الفلسفة ذاتها أصبحت مهمّشة وسط لغة العلم و التقنية,و بموجب ذلك تحوّلت مفاهيمها إلى محض خطابات فارغة من المعنى . الأمر الذي جعل هيدغر يحاول النهوض بالفكر الفلسفي قبل أن يطاله العقم الميتافيزيقي ,و هو الأمر نفسه الذي يفسر ذلك النقل المشروع من "الأنطولوجيا الأساسية" ,حيث يتم البحث عن سؤال الوجود و توضيحه معتمداً المنهج الفنومينولوجي ,**إلى** البحث في "حقيقة الوجود" ,من حيث علاقته باللغة بما هي مسكن الكينونة و مأواه الأخير ,بما في ذلك تزمّن الكلام داخل البنية المفهومية للغة.

يبدو أن هناك تحولا حاسما و جذرياً –بهذا المفهوم- يطال خطاب هيدغر الفلسفي ,يكشف عن تحوّل اشكالية البينذاتية ,و تلك المفاهيم الميتافيزيقية الأخرى ,التي أثقلت من كاهل الفكر الغربي بأسره,إلى اشكالية الوجود و استفاقته الموسومة بتبنيّه الحقيقة الثاوية في الوجود بما هو كذلك. هذا التحوّل هو ما يسمّيه البعض بـ"المنعرج" أو "المنعطف" ,و بذلك أصبح السؤال الذي ينبغي تحليله في هذا المقام متعلّقًا

---

[1]- مارتن هيدغر,الكينونة و الزمان ,صص 62/61

[2]- مارتن هيدغر,مبدأ العلة, ص 69

بالسؤال : ((بأي معنى يكون المنعرج جزءاً مقوّماً لظاهرة الوجود نفسه؟))[1] ليُصبح الولوج إلى فكر المنعطف أمراً ملحاً لمواصلة طرح الاشكالية نفسها,و العودة من جديد إلى الأنطولوجيا التي تحمل في ثناياها بذور فنومينولوجيا تأويلية.فهل سيعبّر فكر المنعطف- فعلاً- عن إنهاء الميتافيزيقا التي استبعدت التفكير في الوجود و أسقطته في طي النسيان ؟أم أن هذا المنعطف يمكن اعتباره "كتحصيل حاصل" ,وجد هيدغر نفسه مُنقاداً إليه ,مفكّرا في ثناياه دون أن يملك خيارا في ذلك؟

يتمحور الطرح المشروع لفكر المنعرج ,من حيث توجّهه الأنطولوجي -في أول الأمر- في التفكّر داخل "المسكن اللغوي" ,أي التفكر عن قرب داخل "واقعة الكلام" بما في ذلك واقعة التكلّم كقول ,و ما تحيل إليه من إنصات و سماع.لتُصبح اللغة بما هي كذلك الوسيط بين الدازاين و الوجود ,و من خلالها فقط يستطيع ذلك الموجود-هناك أن يحدّد موقعه في العالم ,يقول فاتيمو في هذا المعنى : ((في اللغة قبل كل شيء تنتشر تلك الألفة الأصيلة في العلاقة بالعالم التي تشكل شرط إمكان التجربة ,لا التجربة المتعالية ,بل التجربة المتناهية تاريخياً على الدوام ,و الموجودة في موقع.))[2]

يصل هيدغر من خلال مساءلته عن اللغة إلى القول إن اللغة هي التي تحدّد علاقة الموجود بوجوده في العالم ,و لما كان الوجود هو تفكير في اللااحتجاب أو الإنارة عن طريق اللغة ,كان هو الأمر ذاته الذي غفلت عنه الميتافيزيقا في كل مرحلة من مراحل تاريخها الطويل. يقول هيدغر: ((إن الفكر يحقق علاقة الوجود بماهية الإنسان ,و ليس ما يحققه الفكر إلا تجربة الإنارة ,و الصمود لها ,و التعبير عنها باللغة.عندئذ تصبح اللغة هي "بيت الوجود" ,أي الكائن الذي تتجلّى فيه الإنارة تجلّياً أصيلاً ,بينما تظل في العادة خافية أو منسية.))[3]

لكن ,أليس التفكير المُنصب حول فكرة "المنعرج" ,هو العودة مع هيدغر إلى التفكير في إقامة الفانون, حيث يسكن الإنسان العالم مقاماً شعرياً ,و منه الموازاة بينه و بين السماء.يقول "غروندن"

---

[1]- فتحي المسكيني,نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإله الأخير,ص 336

[2]- جياني فاتيمو ,نهاية الحداثة ,ص76

[3]- مارتن هيدغر ,نداء الحقيقة ,ص 199

مؤكداً ذلك : ((إن كل الفلسفة الهيدغرية التي يمثل المنعطف ذروتها ,تبدو كتأمل في إقامة الفانون الموسومة بالانفتاح على سر الكينونة.))[1]

تثير فكرة المنعرج بما هي تفكير في لغز الكينونة المحتجبة ,مسألة "العدم" التي يعتبرها هيدغر بمثابة الخلفية المتستّرة وراء كل ابداع فني ,و يكون العدم بذلك المعنى ,لا يخرج عن سياق الوجود ,و يصبح العمل الفني انكشافاً للعالم ,و نافذة مطلّة على المقدس ,بموجبها ينفتح الدازاين على الحقيقة.من هنا فقط يمكننا أن نفهم تلك الالتفاتة الشعرية ,و حتى الأسطورية للمسار اللغوي ,بل إن هيدغر نفسه ليوشك أن ((يقترح على ما يبدو بأن للغة أصول إلهية بدلاً من كونها بشرية...حيث تُصبح الهرمينوطيقا أو " التفسير" عبارة عن عملية تأمليّة ,بل و حتى شعرية في الاستماع ,و منح الصوت لظهور الكينونة اللغوي.))[2]

ينعطف هيدغر على إثر ذلك إلى مفردات الشعر و القصيد ,التي تمثّل مسألة العالم في انفتاحه داخل اللغة ,و التي تنم بدورها عن انتقال الفهم الكلاسيكي من المعرفة إلى مسألة الكينونة ,بحيث تكون اللغة داخلها(داخل الكينونة) على علاقة تأويلية مع العالم لا علاقة مادّية ,فنحن حين نسمع صوت "قرع الباب" مثلا ,فأول ما يحضرنا هو وجود شخص ما وراء الباب لا مجموعة من الأصوات المعدمة ,أي مجموعة من الذبذبات الصوتية ,التي يبقى العلم عاجزاً على إعطاء معنى لها ,بما يتماشى و صورتها المرئية. يعبّر هيدغر عن هذا المعنى بقوله : ((إننا نشعر بالريح تصفر في المدخنة ,و نسمع أزيز الطائرة ذات المحركات الثلاثة...و في البيت نسمع الباب يضرب ,و لا نسمع أبدا الأحاسيس السمعية ,و لا حتى مجرّد الأصوات وحدها.))[3] و هو ما يفسّر بدوره تلك العلاقة الموجودة بين العالم حيث وجود الأشياء,و بين اللغة بما هي الطريق الهادي لقلب التصور العقلاني إلى ما هو أبلغ فهماً و أوضح تأويلاً.

---

[1]-J. Grondin, Le Tournant dans la pensée de Martin Heidegger, PUF, 1987, p112

[2]- دايفيد جاسير,مقدمة في الهرمينوطيقا,تر وجيه قانصو,الدار العربية للعلوم-ناشرون,بيروت,ط1, 2007, ص 147

[3]- مارتن هيدغر ,أصل العمل الفني ,ص 72

المبحث الثالث:العقلانية و اللغة:نحو براديـــغم جديد للعقل(العقل التأويلي):

إن رسم معالم فكر جديد ,يقوم أساساً على فهم الدازاين-بوصفه لوغوس-يحتاج في النهاية إلى استعادة الفنومينولوجيا ,و استنطاق ما لم يتم كشفه ضمن تحليلاتها الابستيمولوجية .و لئن ثمّن هوسرل المنحى الفلسفي الذي اتخذته فلسفة الذاتية الديكارتية,فإن الأمر الذي بقي يؤرق هوسرل نجمله في السؤال الآتي : كيف تكون الذات جوهر اليقين,في حين أنها هي ذاتها لا تضمن يقين موضوعها؟و هو بالأحرى السؤال الذي بقي مستعصي الفهم حتى من قبل هوسرل ذاته.

يأتي هيدغر على إثر ذلك ,و يضع"تحليلية الدازاين" بديلاً لفلسفة الذاتية المتعالية ,التي بدأت مع ديكارت ,و اكتملت مع هوسرل ,بل إن قارئ "الكينونة و الزمان" يجد أن المشكلة التي يطرحها هيدغر حول مسألة معنى الكينونة ,تقوم أساساً على تقويض البنية الميتافيزيقية للأنا المفكرة. فهيدغر يسعى ضمن مساره الأنطولوجي إلى تحرير الفكر من علاقة الذات-الموضوع ,و تخريج مشكلة المعرفة الكلاسيكية ضمن منظور جديد يستهدف هرمينوطيقا الدازاين بالدرجة الأولى,و في هذا يقول ريكور: ((إن ما يجب بالضبط استعادته على زعم الذات هذا,هو وضع المقيم في هذا العالم,الذي من خلاله "الوضع "توجد حالة فهم و تأويل ما.))[1]

يريد هيدغر بذلك أن يتجاوز علاقة الفصل بين الذات و الموضوع ,أي ((مجاوزة النظرة الابستيمولوجية القائمة على أساس الفصل بين الداخل (الذات) و الخارج (الموضوع) ,و التي تنظر للإنسان على أنه حيوان عاقل,و للموجود على أنه مجرّد موضوع للتعقل ,و النظر إلى المسألة من منطلق أنطولوجي,أي من منطلق العلاقة الحميمة بين الوجود و الإنسان ,التي بفضلها يكون "معنى" الموجودات شيئاً أكثر من كونها مجرّد موضوعات للتعقل ,و أكثر أيضاً من كونها صناعة للعقل.))[2] معنى ذلك أن الأمر يتعلق بميتافيزيقا الموضوع (الموجود) ,و منه ما يتعلق بميتافيزيقا المعرفة .يؤكد هيدغر على هذا

---

[1]- بول ريكور ,من النص إلى الفعل أبحاث التأويل ,تر,محمد برادة و حسان بورقية ,عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ,القاهرة,ط1, 2001, ص 70

[2]- Bertrand Rioux, L'etre et La Vérité chez Heidegger, op, cit, pp18-19

في كتابه "مقالات و محاضرات" بقوله : ((إن قول " ميتافيزيقا المعرفة" هو البقاء في الغموض ذاته ,و الأصح أن الأمر يتعلق بميتافيزيقا الموضوع ,بمعنى الموجود كموضوع من أجل الذات.))[1]

يبدو أن المشكلة التي يجاهد هيدغر في قلبها تتعلق بالمعرفة ,و ما تحمله من حقيقة و لوغوس,بحيث يكون هدفه الرئيسي من ذلك كلّه ,هو تخريج المشكلة عينها ,للسير بها على خطى "العقل التأويلي" بدل تلك النفحة الكلاسيكية ,التي تمجّد ميتافيزيقا الذات (ديكارت/هوسرل) .ومنه فتح أفق جديد يقوم أساساً على "عقلانية اللغة" ,التي تنم بدورها عن "عقلانية زمانية" ,ينفتح بموجبها الدازاين خارج مفاهيم الذاتوية و الوعي ,هادفا إلى تأسيس "عقل لغوي تأويلي" .و من ثمّة تُصبح مهمة هيدغر الأساسية تكمن في : ((محاولة تغيير براديغم التفلسف بالانتقال من "عقل مركز على الذات" إلى عقل (يجد) موقعه في اللغة.))[2] مثل ذلك الانتقال لا يمكن فهمه إلا بالعودة إلى التفكير داخل ذلك النقل من "براديغم الأنا أفكر" إلى "براديغم الوعي" ,و منه إلى "براديغم اللغة" الذي انتهى مع هيدغر إلى فكر المنعرج.

يعود هيدغر بموجب ذلك إلى التفكير في لغز الحداثة ,الذي أجبر تاريخ الفلسفة على السير في اتجاهين متتابعين : اتجاه بدأت شرارته الأولى مع ديكارت ,و تخريجه للعلم من حيث هو "جوهر الامتداد",ثم كانط و تمييزه بين الظاهرة" و "الشيء في ذاته",بل إن المتأمّل في تاريخ الفكر الغربي سرعان ما يكشف ذلك التواشج في العلاقات ,بحيث يُصبح كل فكر هو تتويج لفكر آخر معدّل ,و ما فكر هوسرل الذي هو امتداد للديكارتية لدليل على صحة ذلك.أما الاتجاه الآخر فيبدأ مع هيجل كونه أول فيلسوف منظر للحداثة من خلال فكرته عن حركة الروح في التاريخ,و ينتهي مع نيتشه و تنظيره للإنسان الأعلى ضد إنسان الحداثة ,ليدخل تاريخ الفكر مع نيتشه في مرحلة جديدة تسمّ الفكر ,و تدخله في دوامة العدم.لكن السؤال الذي يطرح نفسه في خضم هذا كلّه هو : ما موقف هيدغر و موقعه الأساسي داخل عصر الحداثة؟

يستعين هيدغر في هذا المقام بالخط الحداثي منذ هيجل ,الذي يستخدم مصطلح "الأزمنة الحديثة" للتعبير عن عصر جديد مناهض ,لما كان عليه الفكر القديم ,ليكون ((زمننا –مع هيجل- هو زمن ميلاد ,و زمن انتقال إلى عصر جديد.تنفصل فيه الروح عما كان عليه العالم حتى تلك اللحظة ,عالم

---

[1]-M. Heidegger, Essais et Conférences, op, cit, p 86

[2]- فتحي المسكيني,نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإله الأخير , ص 11

وجودها و تصورها ,إنها على حافة اغراق كل هذا في الماضي ,و هي تعمل على تصوره...إن هذا التشتّت ستوقفه إشراقة الشمس ,التي ترسم بناء العالم الجديد بسرعة وميض البرق.و بقدر ما يختلف هذا العالم الجديد عن العالم القديم بانفتاحه على المستقبل ,يحدث من جديد بدء عصر تاريخي ,يستمر في كل لحظة من لحظات الحاضر الجديد.))[1]

لا يدعو هيدغر إلى نقد الحداثة و رفض مكوّناتها ,بقدر ما يرمي إلى الوقوف عند مخاطر "التقنية" ,التي سيطرت على علاقة الإنسان بالكائن و الكينونة ,و من ثمة فإننا ((نسأل عن موضوع التقنية ,و بذلك نريد أن نقيم علاقة حرة معها ,و العلاقة تكون حرة عندما تفتح كينونتنا على ماهية التقنية ,إذا قدمنا جواباً حول هذه الماهية ,نستطيع حينئذ أن نعي النزعة التقنية Techneité في حدودها.))[2]

تتجه قراءات هيدغر للعقل الميتافيزيقي ب,,,اتجاه ما يحدث داخل العالم التقني ,بوصفه المجال الذي يُفصح عن لغز الميتافيزيقا ,و ما ينجر عنها من أزمات* علمية ,من شأنها أن تعصف بالعالم الحقيقي ,و بكل مفهوم حداثي أصيل ,يحاول هيدغر ابراز خلفياته ضمن ذلك الإطار التفكيكي للذاتية(عقل,إرادة,عدم...) ,أو ضمن ذلك النقد العقلاني الذي دشّنه نيتشه من قبل. لتصبح الحداثة محض مقولة ميتافيزيقية متأخرة لم تفي بوعدها في تحقيق "فكر الأنوار" ,و إنما أسقطت العالم في شباك "العقلانية التقنية" ,و عليه ((تكمن لغزية الميتافيزيقا في كونها البدء الذي لم ينته بعد ,إنها البدء المانح

---

[1]- هابرماس ,القول الفلسفي للحداثة ,تر,فاطمة الجيوشي ,منشورات وزارة الثقافة ,دمشق ,د.ط,1995,صص 14-15

[2]- مارتن هيدغر ,التقنية-الحقيقة-الوجود,تر,محمد سبيلا و عبد الهادي مفتاح,المركز الثقافي العربي ,د.ط ,د.ت , ص 43

*- لقد سبق لهوسرل و أن تفكّر في الأزمة في كتابه "أزمة العلوم الأوروبية و الفنومينولوجيا المتعالية" ,الذي عالج فيه أزمة الوعي الأوروبي ,التي يرى أنها جاءت نتيجة سيطرة النزعة الموضوعية و تضييق أفق العلم . و تكمن فكرة الموضوعية في اعتبارها للعالم المؤسس على العلم هو العالم الحقيقي ,أما عالم الحياة اليومية و التجربة المعيشية ,فهو يشوّه في نظرها العالم الحق .يقول هوسرل: ((إن الفكرة القديمة للفلسفة تتضمن نظاما معقولا للوجود...بناء على ذلك تبوأت الميتافيزيقا علم الأسئلة العليا و الأخيرة مرتبة ملكة العلوم ,التي تمنح روحها المعنى الأخير لكل المعارف.هذا ما تبنّته أيضا الفلسفة عند تجديدها ,بل اعتقدت بأنها اكتشفت المنهج الشامل الحقيقي ,الذي يجب أن تبنى بواسطته هذه الفلسفة النسقية ,التي تبلغ ذروتها في المبتافيزيقا ,و ذلك جدّيا كونه فلسفة دائمة philosophia perennis)) للمزيد أنظر:إدموند هوسرل,أزمة العلوم الأوروبية و الفنومينولوجيا الترنسندنتالية,تر,اسماعيل المصدق,مراجعة,جورج كتورة,مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت,ط1, 2008,ص49

الذي لا يزال ينشر ماهيته عبر التقنية ,و لهذا فإن نهاية البدء ,و انكشاف سر الميتافيزيقا ,يكمن في التحقق التام لإمكانات التقنية.))[1]

يبدو أن ذلك التحقيق هو ما يدفع بهيدغر نحو مساءلة الفن ,و الولوج داخل فكر هولدرلين ,و عالمه المفتوح على الشعر ,الذي يُنقذ اللغة من كلالة الاستخدام التقني للعقل ,و يدفع الفكر إلى البحث عن إمكانيات جديدة ,بموجبها تتكشّف الأسئلة التي تنطوي عليها ماهية التقنية .يقول هيدغر: ((كلما تساءلنا بأكثر من سؤال ,و تبصّرنا في ماهية التقنية ,كلما أصبحت ماهية الفن سرّية.كلما اقتربنا من الخطر ,كلما اتّضحت الطرق التي تقود نحو "ما ينقذ" ,و ستتّضح أكثر كلما تساءلنا لأن السؤال هو تقوى الفكر.))[2]

يكمن مسعى هيدغر –من حيث هو دفع لأسئلة التقنية نحو بعدها الأقصى– في سحب تاريخ الذات و الوعي معاً ,التي أثقلت من كاهل الفكر ,ليبحث في المعنى بدل الماهية التي لا طائل منها.يقول ريكور ضمن هذا الاتجاه : ((لا يعني فهم نص ما ,العثور على معنى جامد محتوى فيه ,بل بسط إمكانية الكينونة التي يعيّنها النص ,و بذلك سنكون أوفياء للفهم الهيدغري الذي هو جوهرياً...عزم ما فيها كينونة –مقذوفة مسبقة.))[3] معنى ذلك أن تأويل النص يرتبط أساساً بمسألة الكينونة ,التي تستلزم فهم وجود الدازاين في العالم السابق عن أي معرفة ذاتية.

يصبح الرّهان الأكبر الهيدغري على إثر ذلك ,متعلّقاً بالبحث داخل الحلقة الهرمينوطيقية ,التي تبحث في ثنايا الـ " مَن" ,و مكنوناتها الأصيلة بدل الـ"ما" تلك الحلقة الكلاسيكية المفرغة. و في أفق المنعرج تتحدّد النصوص و المسائل. يقول ريكور: ((إنّي لأرى هذا التأويل العام كمساهمة في هذه الفلسفة العظمى للغة,التي نعاني اليوم من نقصها,فما نحن اليوم سوى هؤلاء البشر الذين يمتلكون منطقا رمزيا ,و علما تفسيريا و أنثروبولوجيا ,وتمثيلا نفسيا ,و الذين هم للمرة الأولى ربما,قادرون على أن يتناولوا الخطاب الإنساني بوصفه مسألة واحدة.))[4]

---

[1]- اسماعيل مهنانة,الوجود و الحداثة ,ص 206

[2]-M. Heidegger, Essais et Conférences, op, cit, p48

[3]- بول ريكور, من النص إلى الفعل , ص 70

[4]- بول ريكور ,صراع التأويلات ,ص 47

إنّه مع هيدغر يُفتتح أفق "العقل التأويلي" بديلاً عن تلك المعقولية الكلاسيكية (الديكارتية-الهوسرلية) ,التي ترتكز على ميتافيزيقا العقل (الذات) ,وفي خضم ذلك يعود هيدغر من أجل إرساء معالم الهرمينوطيقا داخل النص الفلسفي إلى تلك الأصول التاريخية ,التي تكشف عن علاقة العالم بالأرض ,و بشهادة ريكور يُصبح ((التاريخ يتقدّم عليّ و يسبق تأملي ,أنا أنتمي إلى التاريخ قبل أن أنتمي إليّ.))[1]

المبحث الرابع:مقاربة مسألتي العالم و اللغة بمسألة التأويل:

لم تعد مسألة اللغة مع هيدغر مجرّد وسيلة للتعبير و فقط ,بل هي الأفق الذي بموجبه تُحدّد تجربة الكينونة - في- العالم بما هي تجربة هرمينوطيقية ,و التي داخلها يُحدّد معنى الإنسان بوصفه كائنا تأويليًا بالدرجة الأولى.وعليه فإننا مع هيدغر نكون أمام براديغم جديد , يكون العالم فيه هو النص المفتوح على وجود الدازاين ,و المنفتح على إنارته بواسطة اللغة .و من ثمة يحتاج طرح سؤال الوجود في النهاية إلى استعادة تأويلية تقوم أساساً على مقاربة مسألة اللغة بمسألة العالم.فكيف يكون ذلك التقارب ؟ و أين يكمن ؟

لقد كانت الهرمينوطيقا منذ زمن غير بعيد على صلة وثيقة بالتفسير اللاهوتي/الإنجيل ,الذي غالباً ما كان يؤدي إلى اختلاف الرؤى و تعدّد المفاهيم ,و كما يعبّر الشاعر الإنكليزي "وليام بلاك william blake في شعره "الوحي الأزلي" قائلا : ((كلانا قرأ الإنجيل ليل نهار ,ولكن ما قرأتَهُ أنت كان أسوداً ,و ما قرأتُهُ أنا كان أبيضاً.))[2] من هنا كان اهتمام الفلاسفة بمسألة التأويل بغية الوصول إلى فهم صائب للنص,من شأنه أن يزيح عنه كل لبس وسوء الفهم الذي قاده إليه التفسير القديم .من هنا يأتي "شلايرماخر" ,و يحاول نقل المعنى المتداول إلى معنى أكثر وضوحا و جلاء ,بحيث لم تعد الهرمينوطيقا معه متعلقة بالنص الديني ,بل بالأحرى تتعلّق بتجربة اللغة ,بحيث تكون هذه الأخيرة شرط الخطاب الفلسفي. يقول شلايرماخر في رسالة بعثها إلى صديق له في جوان 1805 : ((إنّي ألقي درساً في الهرمينوطيقا ,و أبغي تأسيس علم لم يمثّل إلى حدّ الآن غير مجموعة من الملاحظات المتفكّكة ,و غير المُرضية,علم يحوي اللغة بأسرها كحدس ,و يبحث عن النفاذ من الخارج إلى صميم أعماقها.))[3]

---

[1]- بول ريكور ,من النص إلى الفعل ,ص 75

[2]- دايفيد جاسير ,مقدمة في الهرمينوطيقا ,ص 113

[3]- نبيهة قارة ,الفلسفة و التأويل ,ص 46

يقيم شلايرماخر من أجل ذلك وزناً لعملية الفهم المتعلقة بالحالة الابداعية للمبدع ,سواء منها الداخلية أو الخارجية ,و هو ما يدل على اهتمامه بالتجربة النفسية ,بحيث تكون اللغة وسيطاً بين النص و المؤول, و على حدّ قراءة ريكور فإن : ((البرنامج التأويلي لشلايرماخر يحمل في طيّاته البصمة المزدوجة,الرومانسية و النقدية:الرومانسية بدعوته إلى علامة حية مع سيرورة الابداع , و النقدية بإرادته في بناء قواعد فهم صالحة كونياً.))[1]

تتضح معالم الاتجاه الهرمينوطيقي من جهة أخرى مع "دلتاي" ,من خلال موقفه الابيستيمولوجي من العلوم الإنسانية ,و هو من أجل ذلك نجده يميّز بين علوم الفكر (العلوم الإنسانية) و علوم الطبيعة ,يقول دلتاي: ((فالطبيعة توجد بالنسبة للإنسان بفضل عودته للتجربة المعيشة و فقط ,في عودته إلى الحياة تنبثق الدلالة و القيمة و الغاية ,و التوجه الكبير الآخر الذي يحيي العمل العلمي.))[2] معنى ذلك أن استقلالية علوم الفكر لا يرتبط بالإنسان وحده ,و إنّما بعلاقته مع الطبيعة ,بل بالأحرى بانفتاحه على التجربة المعيشة بما في ذلك الظواهر اللغوية و الاجتماعية و الثقافية.أكثر من ذلك يحيل دلتاي إلى "فهم الواقعة الإنسانية" فهماً زمنياً خاضعا للتاريخ ,و هو ما يؤكده بقوله : ((من وجهة نظر العلاقة الحيوية,يجب أن يُمنح للأشخاص ,و للأشياء ,و للأحداث شكلا و تلوينا ,بواسطتهما يستطيعوا أن يكوّنوا إدراكات ,و صور ذَاكريّة في الحياة نفسها.))[3]

لقد أخذ دلتاي على عاتقه مهمّة إصلاح إبستيمولوجيا علوم الفكر/العقل ,و وراء ذلك الزخم المعرفي تكمن الهرمينوطيقا ,بما هي محاولة وضع النص في قالبه المفهومي الإبيستيمولوجي. يريد هيدغر أن يتعداها إلى الفهم الأنطولوجي من خلال قلبه للمسألة ,بحيث يُصبح الفهم ذا أسبقية على التفسير , و يكون التأويل بموجب ذلك ,هو مجرّد طريق لإضاءة ما تمّ ضياعه في التقنية.يقول ريكور: ((لو أننا تمكنّا من وضع الخط الأول من الهرمينوطيقا الإقليمية إلى الهرمينوطيقا العامة ,تحت علاقة الثورة

---

[1]-بول ريكور ,من النص إلى الفعل ,ص 61

[2]- W. Dilthey, L'édification du monde historique dans les sciences de l'esprit, tr, Sylvie Mesure, Ed. Du Cerf, Paris, p 34

[3]- Ibid , p87

الكوبرنيكية ,لوجب وضع الخط الثاني الذي نشرع فيه الآن ,تحت علامة قلب كوبرنيكي ثان,يعيد وضع أسئلة المنهاج تحت مراقبة أنطولوجيا أولية.))[1]

تتشكّل البذور التأويلية الأولى لفلسفة هيدغر الهرمينوطيقية ,منذ وضعه لمشكلة معنى الوجود الذي لا يكتمل إلا بفهم الدازاين (كينونة الإنسان) لوجوده في العالم ,وعليه فإن اللحظة التي يتم فيها فهم الدازاين, هي ذاتها اللحظة التي يتم فيها فهم الوجود ,و لما كانت مهمّة البناء الفلسفي مرتبطة مع هيدغر بمدى ((استخراج المفاهيم الأساسية التي تحدّد الفهم الأولي للمنطقة ,التي تقدم الأساس لكل الموضوعات التيمية لعلم ما.))[2] كان من الطبيعي أن تتعلّق المسألة الهرمينوطيقية عنده بتوضيح مشكلة الكينونة ,و الولوج داخل مسألة العالم ,و تأويل منعرجاتها.

أقدم هيدغر منذ تأملاته الوجودية في "الكينونة و الزمان" على تفسير الوجود انطلاقاً من التفسير الفنومينولوجي ,مُحاولاً بذلك الوصول إلى "أنطولوجيا أساسية" .إلا أننا نجده منذ الفقرة (13) يعلن انفلاته من قبضة الفنومينولوجيا ,الأمر الذي جعله يتجه بها "وجهة تأويلية" أكثر تفسيراً لمعنى الكينونة.ليتحوّل بذلك المفهوم الإبيستيمولوجي إلى مفهوم أنطولوجي بحت ,يُعنى بالوجود في العالم أكثر مما هو موجود.لكن السؤال الذي يحضر فكرنا في هذا المقام هو : كيف تنظر الفنومينولوجيا إلى مسألة الهرمينوطيقا ؟

يجمع بعض المفكرين أن هوسرل قد ساهم إلى حد ما في مبحث الهرمينوطيقا ,و بشهادة جان "غراندان" فإن ((مفهوم الـre-dutio مفهوم هرمينوطيقي بطريقة سرية ,بما أنّه يذكرنا بأن الولوج إلى عالم الأشياء الأساسية ,هو دائما مسبوق بإعادة هيكلة لنظرتنا للعالم.))[3] أكثر من ذلك يتحدث ريكور في صفحاته الأولى من كتابه "صراع التأويلات" عن "تطعيم هرمينوطيقي للظاهراتية" ,يقول في ذلك : ((لقد

---

[1]- بول ريكور ,من النص إلى الفعل ,ص 68.

[2]- المرجع نفسه,الصفحة نفسها.

[3]- جان غراندان,المنعرج الهرمينوطيقي للفنومينولوجيا,تر,عمر مهيبل ,الدار العربية للعلوم ناشرون ,منشورات الاختلاف ,ط1, 2007,ص 57.

تشكلت المشكلة الهرمينوطيقية قبل ظاهراتية هوسرل بكثير ,و إنه لمن أجل هذا أتكلم عن التطعيم ,و يجب القول أيضاً أنه تطعيم متأخّر.))[1]

يتجه هيدغر -في مقابل ذلك- بالهرمينوطيقا إلى مصب الأنطولوجيا ,و هو من أجل ذلك يفهم التأويل بوصفه لا يحيد عن الأفق اللغوي للموجود الإنساني ,على اعتبار أن اللغة كما يراها هيدغر ,هي من أهم العناصر المكونة للدازاين .بمعنى مغاير ,تتجه التأويلات الهيدغرية صوب تأويل الوجود بدلالة الفهم ,و((تأويل الوجود في حدّ ذاته باعتباره "فهماً" و "تأويلاً" ,يعني إسقاط الذات عن ممكنات وجودها الخاص.))[2] على حد قول غادامير.

تؤكد هرمينوطيقا هيدغر منذ بداية مشوارها المفهومي عن مشروعية كائن وجودي ,لا كائن ذاتي , يتخذ من اللغة طريقًا – يصفه ريكور بالطريق الموجز – لتأكيد مشروعية وجوده -في- العالم ,يؤكّده ريكور بقوله : ((إنّي إذ أسمّي"الطريقة الموجزة" أونطولوجيا الفهم ,فذلك لأنها إذ تقطع الصلة مع مناقشات المنهج ,فإنها تحمل نفسها دفعة واحدة على مخطط أونطولوجيا الكائن المتناهي ,بغية أن تجد فيه الفهم ليس بوصفه دُرْجة للمعرفة ,ولكن بوصفه دُرْجة الكينونة.))[3]

إن المسألة التي يحاول هيدغر إماطة اللجام عنها تتعلق -في النهاية- بمسألة الفهم.و هي المسألة التي تعيدنا إلى التأمّل داخل مسألة العالم , ((هذا العالم - الذي- هو أكثر من مجرّد مجال العمليات العقلية الادراكية قبل الشعورية,إنه المجال الذي نصادف فيه المقاومات و الممكنات الحقيقية في بنية الوجود , فتقوم هذه المقاومات و الممكنات بتشكيل فهمنا ,و هو المجال الذي تتأصل فيه زمانية الوجود و تاريخيّته,و المكان الذي يترجم فيه الوجود نفسه إلى معنى و فهم و تفسير.إنه باختصار,مجال عملية التأويل ,أي العملية التي يتحول فيها الوجود إلى موضوع لغوي.))[4] مما يعني أن العالم ,هو الأفق الذي بموجبه يفهم الدازاين وجوده ,و ينفتح بوصفه كائناً لغوياً ,بحيث يكون التأويل هو المسرح النهائي ,الذي تتم فيه لعبة الفهم الصائب للتجربة الإنسانية داخل العالم.

---

[1]- بول ريكور ,صراع التأويلات ,ص 33.

[2]- هانس جورج غادامير,فلسفة التأويل الأصول-المبادئ-الأهداف,تر,محمد شوقي الزين ,الدار العربية للعلوم ,بيروت,ط2, 2006,ص 78 .

[3]- بول ريكور ,صراع التأويلات ,ص 36.

[4]- عادل مصطفى,فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا ,ص 230.

إن مثل ذلك الفهم التـأويلي لا يمكن فهمـه إلا ضمـن علاقـته مع الموجود ,ذلك أن الكائـن الذي يملك القدرة على الفهم (فهم وجوده الخالص) ,هو ما يحيل إلى الكلام ,و منه إلى اللـغة بما هي الطريـق الهـادي إلى الفهم.و هـو ما يـحاول "هيدغـر" أن يبيّنه من خلال حـواره الشهـير مع اليـابـاني ,حيث يذهـب إلى القـول : ((إن الإنسان يـقف في "علاقة هرمينوطيقيـة" يكون فيها هـو "حامـل الرسالة" ,و هـو المفصـح عن الوجـود.فـالإنسـان هـو ذلك الكائـن الذي يَعْبُر الفجـوةَ بين خفـاء الوجـود و تجلّيه ,بين تـحجّب الوجـود وانكشافه ,بين العدم (بتعبير آخر) و الوجود .و الإنسـان إذ يتكلّم إنّـما "يـؤول" الوجـود.))[1]

يـنتهي هيدغر إلى نتيجـة مفـادها أن الإنسـان يـؤول الوجـود عن طريـق الكلام ,و منـه النظـر إلى "الوجـود" بوصفه "وجـوداً مؤولاً" يلتقي مع الـلغة ,و بـذلك ((فـإن الشكـل الوحيـد للفكـر هـو أن يـحوّل إلى شكـل منطوق مجـيء الوجـود ,و الذي يكمن و في كمونه ينتظر الإنسـان ,و الوجـود بطبيعة الحـال يسفـر عن وجهـه في اللغة.))[2] لكـن المشـكلة تتعلق بـالتطبيق و ليس بالإدراك و المعرفة فقط ,و هـو ما يـؤكد على اهتمـام هيدغر بمسألة التأويل خـارج نطـاق الإبيستيمولوجيـا ,و بذلك يكون السؤال متعلقاً بـ: كيف يمكن التعامل مع النص المـؤول ؟

لـم تعـد مسألة الهرمينوطيقـا مع هيدغر متعلّقـة بفهـم النصـوص ,وإنّـما طريقـة من طـرق الكينونـة في علاقتهـا باللغة ,التي بموجبهـا ينكشـف ما كـان مخفيـا و متستّرا ,و بذلك ((تُصبـح الهرمينوطيقـا أو "التفسير",عند هيدغر عبـارة عن عمليـة تـأمّليـة ,بـل و حتى شعريـة في الاستمـاع ,و منـح الصـوت لظهـور الكينـونـة اللغوي.))[3]

تـأخـذ الهرمينوطيقـا مع هيدغر طريقـاً أنطولوجياً مغـايـر لـما دأب عليه شلايرماخـر و دلتـاي ,و إن كـان لهذا الأخير دوره في فكر هيدغر, تكون فيه اللغـة الشعريـة هي الكلمـة المسموعـة ,التي من خلالهـا ينفـرج الدازاين على العـالـم الذي يتـداول مسـارحه الشعراء ,و يكـون الشـاعـر هـو المقـدس المسؤول عن انفتـاحـة الأرض على السمـاء.إنه فقط في الكلمـة الشعريـة نستطيع أن نؤول مـا لـم يستطع المبدع قـوله ,هنـا يـجبرنـا هيدغر على العـودة إلى "الشعر و القصيـدة" بمـا هـو الطريـق الهـادي لتـأويليـة النص.

---

[1]- عادل مصطفى,فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا, ص 251.

[2]- المرجع نفسه , ص 258.

[3]- دايفيد جاسير ,مقدمة في الهرمينوطيقا ,ص 147.

يتناول هيدغر في كتابه "المنادى إنشاد" قصيدة "مساء شتائي*" للشاعر الألماني "جورج تراكل",يحاول من خلالها استنطاق ما لم يكشفه كاتب تلك السطور نفسه , ((فمن خلال كتابة القصيدة يتخيّل الشاعر شيئاً ممكن الوجود و يصوّر حضوره ,و بعد أن تستقيم القصيدة في شكلها تثير فينا صورة ما تمّ تصوّره على هذه الهيئة.))[1] هنا تكمن مهمّة المؤول في إيجاد فسحة الوجود ,التي بموجبها يُضاء العالم على شكل كلمات لغوية ,ليُترك للنص فرصة التكلّم بصمت.في الوقت نفسه,يكون للتأويل دوره الفعاّل في ترك البيت القصيدي يقول ما يريد قوله.و بغض النظر عن هذا التأويل و ذاك ,يبقى مسعى هيدغر الأساسي متعلّقاً بعملية الكشف ,التي من خلالها ينكشف الوجود في العالم ,و هذا لن يتسنى إلا باللغة التي تلعب دورها في عملية الكشف.و يبقى هدف هيدغر الرئيسي من تخريج "مسألة اللغة" داخل "مسألة العالم" و العكس ,هو الوصول إلى فهم صائب للكينونة ,الذي لا يكتمل إلا بالخط التأويلي الذي بموجبه ينكشف ما لم تبيّنه الأنطولوجيات السابقة .و بذلك يكون ((التأويل هو إعادة معايشة لحظة الانكشاف الأصلية و استعادتها ,إنه يحاول التخلص من رواسب سوء الفهم المتراكمة عبر السنين (شغف هيدغر بصقل الكلمات حتى يشع بريقها الأصلي مرة ثانية) ,و يأخذ موقفاً وسطاً بين ما قيل و ما لم يُقل.))[2] من هنا فإن مرمى هيدغر لا يكمن في مجرد عرض المحتوى,بل المساءلة عمّا تخفيه هذه الفلسفة و غيرها من حقائق ,من شأنها أن تغيّر المسار الفلسفي لمفهوم معيّن.

---

*- نص القصيدة كما وردت في كتاب" المنادى إنشاد" كالآتي : "حين يهطل الثلج على النافذة...و حين ,طويلا ,يقرع جرس المساء...لكثرة من البشر تكون المائدة جاهزة...و البيت مهيّأً و ملآنا...ثمّة من يكون على سفر...يصل إلى الباب عبر الدروب المظلمة..ذهباً تزهر الشجرة الرحمات...التي تلدها الأرض من نسغها الطري...أيّها المسافر أُدخل بدعة..الألم حجّر العتبة ...هنا في الضوء الخالص ,يشعّ...على الطاولة ,خبز و نبيذ... " أنظر: مارتن هيدغر, المنادى إنشاد ,ص 11.

[1]- مارتن هيدغر ,المنادى إنشاد,ص 13.

[2]- عادل مصطفى, فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا ,ص 250.

المبحث الخامس : هيدغر و مسارات الفكر ما بعد المنعرج اللغوي- التأويلي:

يتأرجح الفكر منذ انجلاء الخطوط الفكرية الأولى لفلسفة هيدغر الوجودية ,بين فهم للوجود كواقعة حاضرة تستنجد بالفنومينولوجيا لفك قيودها من فكر غالى في تصعيده للموجود ,متنكرا و مهمّشا لما تعلّق بحقيقة معنى الكينونة ,و بين فهم للدازاين في بؤرة انفتاحه عن العالم,بحيث لا يكون صوت الثاني مسموعا إلا إذا أحسنّا الإصغاء للأول .و بذلك كان هيدغر بحق وليد ((قرن جديد ,قرن هيمن عليه نيتشه و النزعة التاريخية ,و الفكر الذي أشاعته فلسفة الحياة ,كما رفع هذا القرن لواء الشك في وجه جميع البيانات التي تدور حول الوعي الذاتي.))[1] من هنا تتضح معالم فكر ثوري ينبري تحت مظلّتها فكر لعوب ,يتعلق أساساً بالأصل و التقويض في مقابل اللاأصل ,و الوجود في مقابل اللاوجود ,بل و ((بقدر ما يمتد الوجود كأساس و أصل ,يبقى هو نفسه بلا أصل...أي طالما أن الوجود هو أساس يؤسس ,و أصل يؤصل ,فهو يبقى بلا أساس,بلا أصلAb-grund))[2] يقول هيدغر نفسه.

ينكشف فكر هيدغر منذ مقدمة كتابه الرئيسي "الكينونة و الزمان" عن مواجهة مشروعة تطال خطاب الفلسفة الغربية بأسره ,بموجبها يكشف عن سقوط براديغم الوعي المتعالي ,و يحل محله براديغم اللغة, بل و يمتد أثر ذلك إلى ما بعده ,ليبقى تعرّجه الثاوي في النصوص اللغوية مهمازاً لمد سؤاله الأصلي عن معنى الكينونة ,يقول غادامير: ((إن ما دشّنه هيدغر في كتابه الكينونة و الزمان ,لم يكن فقط تعميق أسس ظاهراتية متعالية,بل كان أيضا تهيئة تغيير جذري سوف يؤدي إلى انهيار مفهوم التكوين لكل المعاني المتصورة في الأنا المتعالية ,و يؤدي قبل كل شيء إلى انهيار مفهوم وعي الأنا الذاتي.))[3] و هو ما أفصح عن مواجهة خطاب هيدغر الفلسفي لخطاب الحداثة الغربية بكامله.

لقد كان مشروع هيدغر الأنطولوجي فيما يخص فكر"المنعرج اللغوي" مثار جدل ,و نزاع حاد بين أوساط الكثير من المفكرين و الفلاسفة ,و لئن ثمّن البعض منهم جهود الفيلسوف في توجيه الفكر وجهة جديدة ,فإن هناك من وصفها بـ"الثانوية" ,بحيث لم يعد ((كتاب "الكينونة و الزمان" حسب أوطوا غير تحويل جوهري لقدر "ثانوية" الفلسفة:إنه مشروع سيطرة على ظاهرة التضخّم المعاصر للغة بإلحاقها

---

[1]- غادامير ,طرق هيدغر ,ص 156.

[2]- مارتن هيدغر ,مبدأ العلة ,ص 122.

[3]- غادامير ,طرق هيدغر ,ص 198.

بالمسألة الأنطولوجية ,و دراستها كمبحث من مباحثها.))[1] و إلى مثل هذا الموقف يذهب هابرماس في كتابه"القول الفلسفي للحداثة" ,حيث لم يُفلح هيدغر حسبه في تقويضه للذات ,و لم ينتبه ((للفرق بين العقل ,و ملكة الفهم الذي ما فتئ هيجل يبحث انطلاقا منه لتوسيع جدلية الأنوار ,فهو لم يعد يرى سوى الجانب المتسلّط لوعي الذات,ولم يعد يكتشف له أي جانب مصالح ,إن هيدغر هو ذاته-لا الروح المحدود للأنوار-الذي يرجع القول لملكة الفهم.))[2] إلا أن المتأمل في كتابات هابرماس الأخيرة سيلاحظ دون شك عدولاً عن موقفه الأول,و هو من خلال تفحّصه "للمنعرج اللغوي"يصل إلى ((الإقرار بأن هيدغر هو أوّل من فهم الطابع البراديغمي للهرمينوطيقا ,لأنه هو (هيدغر) من دشّن المنعرج اللغوي بالنسبة للتقليد القاري...ربّ إقرار هو ما يفسّر الاستعمال الموجب الذي دأب عليه آبل و هابرماس ,و كذلك زملاؤهم في التفلسف"بعد" المنعرج اللغوي مثل رورتي...فهؤلاء الثلاثة لا يتردّدون في تخريج الفلسفة القارية المعاصرة ,بوصفها تقليداً هرمينوطيقياً.))[3]

يمتد فكر هيدغر في كل مرة حتى يخال القارئ أن تاريخ الفكر الفلسفي مجموعاً في فلسفة هيدغر لوحدها ,و نحن لا نريد في هذا المقام أن نَعُدّ النقاط الايجابية و السلبية في فلسفة هيدغر ,بقدر ما نريد أن نبيّن أن السؤال المبدئي الذي وضعه هيدغر ,قد بقي مفتوحاً لمن يحاول بعده أن يُحيي السؤال من جديد,مُحاولةً مدَّها تلميذه غادامير من بعده إلى المجال الواقعاني",الذي سبق الإشارة إليه.و يمدّها "ايمانويل ليفناسE.Livinas" إلى مجال الإتيقا éthique ,حيث انفتاح الأنا على الغير.فإذا كان هيدغر قد أقام من قبل مسألة الاختلاف بين الوجود و الموجود ,فإن ليفناس سيُرجّح الكفة للموجود بوصفه وجهاً (visage),بحيث يكون التقاء الأنا بالغير وجهاً لوجه ,موسوماً بالتقاء اللانهائي المتستّر وراء ما يظهر من الوجه ,يقول ليفناس في هذا المعنى : ((إن الوجه ليس كما يجب أن "يُرى" ,بل كما يعمل تفكيرنا على ملئِهِ بمضمون ينقلنا إلى عالم الآخر.و هذا ما يفسّر حرص الوجه في التعبير على دلالة

---

[1]- فتحي المسكيني,التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟,جداول للنشر و التوزيع ,بيروت,ط1 ,2011 , ص 112.

[2]- هابرماس,القول الفلسفي للحداثة,ص 212.

[3]- فتحي المسكيني,التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل,ص 143.

تتناسب مع معرفة ما,على العكس من ذلك,فإن النظرة هي بحث حثيث عن التلاؤم ,إنها ابتلاع للوجود بامتياز.لكن العلاقة مع الوجه هي ذات بُعد أخلاقي بالدرجة الأولى ,فهو ما لا تتمكن من قتله.))[1]

يذهب "ميرلوبونتيMerleau-Ponty" بدوره إلى مثل هذا الموقف ,الذي يمكن أن يظهر من خلال فكرته عن التواصل ,أين تكون الذات في علاقة متواصلة مع الغير .فمن خلال الكلام و القول نعرف الآخر,و بما أننا موجودون في العالم نفسه الذي يؤدي إلى المصير ذاته ,فإنه في علاقة الـ(بين-ذاتية) تكمن كل معرفة متبادلة بين ذات و أخرى ,يؤكد ميرلوبونتي على ذلك بقوله : ((إن الذاتية المتعالية هي ذاتية منكشفة ,و هي معرفة بذاتها و بالآخر,و في هذا المستوى فهي بين-ذاتية.))[2] مما يعني أن عدم التواصل مع الغير ,هو الأمر الذي ينقله إلى موضوع متعالٍ.من هنا يمكننا أن نفهم فحوى عبارة ميرلوبونتي: ((لم تعد اللغة حصيلة ماضٍ فوضوي لوقائع ألسنية مستقلة,إنّما نظاماً تتلاقى كل عناصره في جهد تعبيري أوحد ,ينزع نحو الحاضر أو المستقبل ,و يسوده منطق حالي.))[3] ليكون التحديد الألسني مع هيدغر ذاته مُتَجَاوزاً عنه ,ذلك أن مثل ذلك التحديد ,يعجز عن فهم العلاقة الأنطولوجية بين الكلام و اللغة ,و الدازاين الموجود في العالم ,ليظل المفهوم اللساني بعيدا عن أي طرح وجودي من شأنه أن يصبو بالكينونة إلى مراتب الإشراق اللغوي.

لقد أضحت اللغة مع هيدغر في علاقتها بالعالم تجربة فريدة من نوعها ,يحاول من خلالها إنهاء البدء الأول (مجاوزة الميتافيزيقا) .لكن الإنهاء مشروط بمدى تخطيّ الكوجيطو الديكارتي,و بمدى مجاوزة القصدية الهوسرلية ,بل بمدى قلب المثالية الأفلاطونية ,و العودة إلى الكهف من جديد.و في خضم كل ذلك تبقى مسألة الإنهاء عالقة ,ذلك أن تخطّي الموروث الميتافيزيقي ذاته و إنهاءه ,مشروع لم يكتمل بعد ,و يبقى الفكر الهيدغري بين هذا و ذاك نجمله في عبارة دريدا: ((إن ديني لهيدغر هو من الكبر ,بحيث أنه سيصعب أن أقوم بجرده و التحدث عنه بمفردات تقييمية و كميّة,أُوجِز المسألة بأنه

---

[1]-E. Livinas, Ethique d'infini, fayard, 1982, p p79-81.

[2]-M. Merleau-Ponty, La Phénoménologie de la perception, Ed Gallimard, 1945, p 415.

[3]-موريس ميرلوبونتي ,تقريظ الفلسفة,تر,قزحيا خوري,منشورات عويدات,بيروت,ط1, 1983 , ص 67.

هو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا,وعلّمنا أن نسلك معها سلوكا استراتيجيا يقوم على التموضع داخل الظاهرة ,و توجيه ضربات متوالية لها من الداخل...تفصح عن تناقضها الجواني.))[1]

[1]- جاك دريدا,الكتابة و الاختلاف,ص47.

خـاتَـمة

خـاتمـة:

يبدو أن تـاريخ الميتـافيزيـقا هو مرحلـة البـدء الأوّل لتـأويـل سؤال معنى الكينـونـة ,فقد كان مشـروع هيدغر منذ مؤلـف "الكينـونـة و الزمان" هو البحث عن المعـاني المتعـددة لسـؤال الوجـود ,و لئن اختلفت الطـرق و السبل فـإن الهـدف يبقى واحـداً : هـو الكشف عن سـؤال معنى الكينـونـة و انـجلاء معنى العـالـم. من أجل ذلك الهـدف يبـدأ هيدغر بالتنقيـب داخـل الدفاتـر القديـمة لتـاريخ الفكـر الفلسفـي الغـربي ,ليجد أن الفهـم في عمومـه لا يخـرج عن نطـاق الموجـود ,و إن قـفـزت التسميات بين "الذات" ,"الوعي" ,"السلب" "الارادة"...فـإن المعنى يبقى مقتصـراً على الموجـود و فقط. ما جعـل هيدغر ينحت ألفـاظاً و مصطلحـات ألمانيـة خـاصـة ,من شأنـها أن تعبّر عن "المعنى الحقيقي" للمغزى الذي أراد هيدغر الوصـول إليه من تـخريجـه لمثل ذلك السؤال.

يحاول هيدغر في خضـم ذلك كلّه الاستفـــادة من الخـــط المعرفـي للفنومينولوجيـا الهوسرليـة ,و توظيفهـا لمعـاني المـاهيـة/القصديـة/الإحالـة/العـالـم... إلا أن هذه الفلسفـة حـملت في ثنـايـاهـا بذور فـشلها خـاصـة في مسألـة العـالـم ,التي ظلّـت حبيسـة "الرّد المتعـالي" ,ما جعل هيدغر يميط عنها و المضي بها إلى وجهـة جديـدة تكـون أكثر استظهاراً و استجلاءً لمعنى الكينـونـة ,و مـا ينجر وراءه من سؤال عن الزمـان/الحقيقـة/اللغـة/الروح/المقدس...

يربط هيدغر "العـالـم" من حيث هو المجال أو الأفق الذي فيه تنجلي الهيئـة ,التي يكـون عليهـا الدازاين كموجـود يُسخـّر كل ما هـو كـائن ,من أجـل تحقيـق الانفتـاح داخـل كينـونـة-العـالـم.بـالمقـابل يتعولـم العـالـم من خلال انتشـاره كعلامـات تـستقطب انتبـاه الدازاين ,ليحيـك عبـر اللغـة تجربتـه المـانحـة ,بمـا هي "ليس ذلك الموجـود الميتـافيزيقي".لكـن هـل استطـاع هيدغر فعلا مجـاوزة الميتـافيزيقـا ؟ و منـه مجـاوزة العـالـم كمفهـوم ظواهري ؟ و هـو السؤال الذي يبقى مطروحـاً,لأن هيدغر ذاتـه لا يـرمي إلى تقـديـم إجـابة محـدّدة لسؤال معيّن,بقدر مـا يـرمي إلى فتـح دروب الفكـر على أسئلة جديـدة من شـأنـهـا أن تـمد الفكـر إلى الأمـام.

لقـد كان تمرّد هيدغر على النص الهوسرلي مجازفة كبيرة كـاد أن يزعـزع بالفكـر الفلسفي بأكمله ,إلا أنـه بـالمقـابل ,لا يمكن التنكّـر لمشروعـية ذلك الطـرح الهيدغـري في إخـراج الفكـر من سبـاتـه الميتتافيزيقي ,و ما التمرّد حسبنـا إلا تـأكيداً على مدى نـجاح الفنومينولوجيا الهوسرليـة في تجذير بصمتهـا على التلميذ ,و الفكـر من بعـده. حتى إن قـارئ هوسرل و هيدغر سيصاب بالـدوار ,و سيجد نـفسـه منقـادا إلى عمليـة مد و جـزر ,بـل

إنه من الصعب التمييز بين المُفكِرَين ,بل بين المفكِّر و المفكَّر فيه.من جهة أخرى يكتشف الدارس لهيدغر عن "لحمة توليفية" تعود به في كل مرة إلى ما فكّره الأستاذ.ألم يمشي هيدغر على خطى أستاذه من قبل ؟فإذا كان هوسرل/الأستاذ قد فتّش قبلا تحت كومة الميتافيزيقا ,فإن هيدغر/التلميذ بالمثل يستحضر ذلك الزخم نفسه ,و يتخذ من تاريخ الميتافيزيقا بورصة تأمين تطال حقيقة التفكير فيما لم يُفكّر فيه.وإن اختلفت تسمية المشروع بل و إن اختلف المشروع ذاته فإن المنطلق يبقى هو هو,كما المسعى الذي لا يخرج عن دائرة الفكر و انبجاس معالمه المكبوتة.

يشرع هيدغر في وضع بذور سؤال معنى الكينونة منذ مؤلف 1927 ,ليكتشف في لجّة تحريره لذلك الكتاب أن لغته لا تعدو أن تكون هي الأخرى ميتافيزيقية ,ذلك أن بحثه الأنطولوجي نفسه لا يلبث أن ينقاد شيئا فشيئا نحو مصاهرة الميتافيزيقا. الأمر الذي جعله يعزف عن إخراج جزءه الثاني من كتابه المذكور آنفاً و المتعلق بـ"الزمان و الكينونة".بل إن الملفت للنظر أن هيدغر نفسه لم يستوضح معنى الكينونة بل حصره في مجرّد ما أسماه بالأنطولوجيا ,لتتأرجح مقولاته الوجودية بين الوجود الأصيل و الوجود غير الأصيل ,بين الدازاين كموجود مقذوف به في العالم و وجود نحو الموت,بين ثرثرة صامتة و فضول مروّع يقود الدازاين في النهاية إلى مصيره المحتوم.و بين هذا و ذاك ينتقل السؤال من المعنى إلى الماهية,ومنه إلى الحقيقة المخفية خلف أسوار البينذاتية ,و مفاهيم التقنية و الحداثة.لينعرج الكل مرة أخرى نحو مساءلة اللغة ,بما هي مسكن الكينونة و حاضنة العالم ,بل نحو النداء و محاولة الاستنجاد بإله ما.و إذا كان نيتشه من قبل قد فكّر في سؤال الفكر خارج ما كان يسمّيه بـ"نسيج العناكب" ,و اختار "زرادشت" ليحمل لواء سؤالٍ متجذر في الفلسفة منذ القدم,فإن هيدغر كذلك قد خطى خطوته المفاجئة نحو عالم الشعر بما هو اجتياح لعرين اللغة.

إن المفكّر داخل أنطولوجيا هيدغر سرعان ما يكتشف أنه متورطا داخل متاهة فكرية ,لا سبيل للخروج منها ,إذ لا ملجأ للانزياح عن ذلك الفكر المُتعرّج الخطى ,المثقل الوزن و المعنى.بل إن التملّص من مثل ذاك الفكر لهو ضرب من المجازفة ,التي تعصف بكل ما من شأن الفيلسوف و المفكر أن يتزوّد به منذ بداية بحثه الفلسفي.بالمقابل إن فكراً مثل ذلك الفكر الهيدغري يجعلنا نسبح في تياره,فنحنّ إلى الأصل,أصل الفلسفة و التفلسف منذ اليونان القديم ,و ما سؤال هيدغر عن معنى الكينونة و ما ينجر عنها,إلا درباً من دروب "فطنة العقل" أمام "صمت الفكر" ,ليبقى الجواب خارج كراس المعلّم في معنى

عبارة ميرلوبونتي (ليس الجواب في كراس المعلّم).و يبقى الموروث الميتافيزيقي بحاجة لمزيد من التأويل ,كما يبقى التقويض غير مستوف لمعناه.و بين هذا و ذاك يبقى الفكر الهيدغري مفتوحا لمن يريد التفكير فيما لم يفكّر فيه الفيلسوف(هيدغر) ذاته.

قائمة المصادر و المراجع و المعاجم و الموسوعات بالعربية و الفرنسية:

1/قائمة المصادر:

أ/مؤلفات هيدغر بالفرنسية:

1. De L'essence de la vérité, approche de l'allégorie de caverne et du Théétète de platon, traduit et introduction par A. de Waelhens et W.Biemel, Nauwelarts, Vrin, Louvain, Paris, 1948.
2. Essais et Conférences, traduit par André Préau et préface par Jean Beaufret, Edition Gallimard, 1958.
3. Approche de Hölderlin, tr, Henry Corbin, Michel Deguy, François Fédier, et Jean Launay, édition Gallimard, 1962.
4. Chemin qui ne mènent nulle part, tr:Wolfgang Brokmeir, ed, nrf, Gallimard, paris, 1962.
5. Kant et le problème de la métaphysique, tr, W.Bimel et A.Waelhens, Gallimard, 1964.
6. Introduction à la métaphysique, tr, Gilbert Kahn, éd Gallimard, paris, 1994.
7. Questions I, tr, Henry Corbin, Roger Munier, Alphonse de Waelhens, Walter Biemel, Gérard Granel, André Préau, Edition Gallimard, 1968.
8. Nietzsche, tome 2, tr, pierre klossowski, Gallimard, 1971.
9. Acheminement vers la parole, tr, jean beaufret, wolfgan brokmeier, françois fedier, edition Gallimard, France, 1976.
10. Question II,tr,Kostats Axelos,Jean Baufret,Dominique Janicaud,Lucien Braun, Michel Haar,André Préau, François Fédier,édition Gallimard,Paris,1976.
11. Questions III et IV, tr, jean beaufret, françois fédier, et d'autres, édition Gallimard, 1976.

12. Achèvement de la métaphysique et poésie, tr : Adéline Froidecourt, nrf, édition Gallimard, 2005.
13. Apports à la philosophie, tr, François Fédier, nrf, édition Gallimard, 2005.

ب/مؤلفات هيدغر بالعربية:

1. في الفلسفة و الشعر,تر عثمان أمين, الدار القومية للنشر و التوزيع,القاهرة, ط1, 1974.
2. ما الفلسفة؟ما المتافيزيقا؟هولدرلين و ماهية الشعر,تر,فؤاد كامل و محمود رجب,مراجعة,عبد الرحمان بدوي,دار الثقافة للطباعة و النشر,القاهرة,ط2, 1974.
3. نداء الحقيقة,تر,عبد الغفار مكاوي,دار الثقافة للطباعة و النشر,القاهرة,1977.
4. المنادى انشاد,قراءة في شعر هولدرلن و تراكل,تر,بسام حجار,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء,ط1, 1994.
5. التقنية-الحقيقة-الوجود,تر محمد سبيلا و عبد الهادي مفتاح ,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء ,1995.
6. مبدأ العلّة,تر,نظير جاهل,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ,بيروت ,1995.
7. كتابات أساسية ج2, تر,اسماعيل المصدق ,المجلس الأعلى للثقافة ,القاهرة ,2002.
8. أصل العمل الفني,تر,أبو العيد دودو ,منشورات الجمل ,ط1, 2003.
9. كتابات أساسية ج1,منبع الأثر الفني ,تر,اسماعيل المصدق,المجلس الأعلى للثقافة,القاهرة,ط1 ,2003.
10. السؤال عن الشيء,حول نظرية المبادئ الترنسندنتالية عند كنط,تر,اسماعيل المصدق,مراجعة,موسى وهبة,مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع,ط1, 2012.
11. الكينونة و الزمان,تر,فتحي المسكيني,مراجعة اسماعيل المصدق,دار الكتاب الجديدة المتحدة,بيروت,ط1, 2012.

2/ قائمة المراجع:

أ/ بالفرنسية:

1. Alphonse de Waelhens, phénoménologie et vérité,1ere édition, presse universitaire de France, paris,1953.
2. Aristote, Physique4, tr Dayan, textes choisis, PUE, 1966.

3. Beda Allemann, Hölderlin et Heidegger, tr François Fédier, Presses universitaires de France, 1ere édition, 1959.

4. Bertrand Rioux, L'être et la vérité chez Heidegger et Saint Tomas d'Aquin, 1ere édition, presse universitaire de France, Paris, 1963.

5. Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, édition librairie philosophique, paris, 1967.

6.--- Ethique d'infini, fayard, 1986.

7. Henri Meschonnic, Le langage Heidegger, écriture collection par Béatrice Didier, 1re édition, presses universitaires de France, 1990.

8. J. Grondin, Le Tournant dans la pensée de Martin Heidegger, PU

9. Kostats Axelos, Héraclite et la philosophie 7eme édition, les éditions de minuit, paris, 1968.

10. Maurice corvez, La philosophie de Heidegger, 2 eme édition, presses universitaires de France, Paris, 1966.

11. Merleau-Ponty, La Phénoménologie de la perceotion, Ed Gallimard, 1945.

12. Michel Haar, Heidegger et L'essence de l'homme, Grenoble, Gérôme Million, 1990.

13. Otto Poggler, La pensée de Martin Heidegger, éditions ellipses, paris.

14. Platon, La Republique, tr Emile Chambry, edition, Gouthier, 1977.

15. W.Dilthey, L'édification du monde historique dans les sciences de l'esprit,tr.Sylvie Mesure,Ed,Du Cerf,Paris.

ب/بـالعربيـة:

1. أرسطو,الفيزياء-السماع الطبيعي,تر:عبد القادر قينيني ,إفريقيا الشرق,بيروت-لبنان,(د.ط),1992.
2. إبراهيم أحمد ,أنطولوجيا اللغة ,الدار العربية للعلوم ناشرون,بيروت,ط1, 2008.
3.إدموند هوسرل,أزمة العلوم الأوروبية و الفنومينولوجيا الترنسندنتالية,تر,اسماعيل المصدق,مراجعة,جورج كتورة,مركز دراسات الوحدة العربية بيروت,ط1, 2008.
4. ـــــــــــ تأملات ديكارتية,تر : نازلي اسماعيل حسين, دار المعارف, القاهرة,1970.
5. اسماعيل مهنانة, الوجود و الحداثة,الدار العربية للعلوم ناشرون ,ط1 ,2012.
6.بوشنسكي, الفلسفة المعاصرة في أوروبا ,تر,عزّت قرني ,سلسلة عالم المعرفة ,الكويت ,د.ط ,1992.
7.بول ريكور,صراع التأويلات ,تر,منذر عياشي , دار أويا ,طرابلس ,د.ط ,2005.
8.ـــــــــــ من النص إلى الفعل أبحاث التأويل ,تر,محمد برادة و حسان بورقية ,عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ,القاهرة,ط1, 2001.
9.بيير زيما ,التفكيكية دراسة نقدية,تعريب,أسامة الحاج ,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع,بيروت-لبنان,ط1, 1996.
10.جاك دريدا, الكتابة و الاختلاف تر, جهاد كاظم, توبقال,الدار البيضاء,2000.
11.ـــــــــــ الصوت و الظاهرة,مدخل إلى مسألة العلامة في فنومينولوجيا هوسرل,ترجمة و تقديم فتحي إنقزّو,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء-المغرب,ط1, 2005.
12.جان غراندان,المنعرج الهرمينوطيقي للفنومينولوجيا,تر,عمر مهيبل ,الدار العربية للعلوم ناشرون ,منشورات الاختلاف ,ط1, 2007.
13.جان فال , طريق الفيلسوف,تر,أحمد حمدي محمود,مراجعة,أبو العلاء عفيفي,مؤسسة سجل العرب,القاهرة,1967.
14.جان ماري شيفر ,الفن في العصر الحديث,تر فاطمة الجيوشي,منشورات وزارة الثقافة ,دمشق ,1996.
15.جمال محمد أحمد سليمان,الوجود و الموجود/مارتن هيدغر,إشراف,أحمد عبد الحليم عطية,دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ,2009.
16.جياني فاتيمو,نهاية الحداثة,تر,فاطمة الجيوشي,منشورات وزارة الثقافة,دمشق,1998.
17.رودولف شناينر ,نيتشه مكافحا ضد عصره ,تر,حسن صقر,دار الحصاد للنشر و التوزيع,دمشق,ط1, 1998.
18.روديجر بوبنر, الفلسفة الألمانية الحديثة تر:فؤاد كامل دار الثقافة للنشر و التوزيع ,القاهرة.
19.روي هاريس و تولبت جي تيلر ,أعلام الفكر اللغوي ج1 , تر أحمد شاكر الكلاني ,دار الكتاب المتحدة,ط1, 2004.

20.رينيه ديكارت,تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى,تر,كمال الحاج,منشورات عويدات,بيروت,ط4, 1988.

21.رينيه سرّو,هيجل و الهيجلية,تر أدونيس العكره ,دار الطليعة للطباعة و النشر ,بيروت ,لبنان , ط1 , 1993.

22.زكريا ابراهيم,دراسات في الفلسفة المعاصرة ج1,دار مصر للطباعة ,مصر ,د.ط ,1968.

23.دايفيد جاسير,مقدمة في الهرمينوطيقا,تر وجيه قانصو,الدار العربية للعلوم-ناشرون,بيروت,ط1, 2007.

24.سعيد توفيق, الخبرة الجمالية, المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع, ب.ط ,ب.ت.

25.صفاء عبد السلام جعفر,الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر, منشاة المعارف, الاسكندرية,ط1, 2000.

26.ـــــــــــــ هرمينوطيقا الأصل في العمل الفني ,منشأة المعارف,الاسكندرية,2000.

27. عادل مصطفى,فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر,رؤية للنشر و التوزيع,القاهرة,ط1, 2007.

28. عبد الرحمان بدوي,الزمان الوجودي,دار الثقافة,بيروت ,ط3 ,1973.

29.ـــــــــــــ مدخل جديد إلى الفلسفة, وكالة المطبوعات, الكويت, ط1, 1975.

30.عبد السلام بنعبد العالي,هايدغر ضد هيجل (التراث و الاختلاف),دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ,بيروت,ط2, 2006.

31.عبد الله عبد الهادي المرهج,نقد المركزيات في فلسفة نيتشه ,دار الروافد الثقافية,بيروت-لبنان ,ط1, 2012.

32. علي الحبيب الفريوي,مارتن هيدغر"الفن والحقيقة" أو الإنهاء الفنومينولوجي للميتافيزيقا,دار الفارابي بيروت-لبنان,ط1, 2008.

33. عمانوئيل كانط ,نقد العقل المحض ,تر,موسى وهبة ,مركز الانماء القومي ,لبنان ,د.ط ,د.ت.

34. فتحي المسكيني,التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟,جداول للنشر و التوزيع ,بيروت,ط1 ,2011.

35.ـــــــــــــ نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإله الأخير,مركز الانماء القومي ,بيروت ,2005.

36. فرانسوا داستور ,هيدغر و السؤال عن الزمان ,تر,سامي أدهم,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ,بيروت,ط1 ,1993.

37. فريدريك نيتشه, هكذا تكلّم زرادشت, تر:فليكس فارس ,مطبعة جريدة البصير ,الاسكندرية ,د.ط ,1938.

38. فؤاد كامل, أعلام الفكر الفلسفي المعاصر, دار الجيل, بيروت,ط1, 1993.

39.مارك جيمينز, ما الجمالية؟,تر شربل داغر,مركز دراسات الوحدة العربية,بيروت,لبنان,ط1, 2009.

40. محمد الشيخ ,نقد الحداثة في فكر هيدغر ,الشبكة العربية للأبحاث و النشر ,بيروت ط1 , 2008.

41. محمد محجوب,هيدغر و مشكل الميتافيزيقا,دار الجنوب للنشر,تونس,ط2, 1996.
42. محمود رجب, الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين, دار المعارف, القاهرة ,ط2 ,1986.
43.موريس ميرلوبونتي ,تقريظ الفلسفة,تر,قزحيا خوري,منشورات عويدات,بيروت,ط1, 1983.
44. هابرماس ,القول الفلسفي للحداثة ,تر,فاطمة الجيوشي ,منشورات وزارة الثقافة ,دمشق ,د.ط,1995.
45. هانز جورج غادامير, الحقيقة و المنهج,الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية,دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع,طرابلس,ط1, 2007.
46._____ طرق هيدغر,تر: حسن ناظم و علي حاكم صالح,دار الكتاب الجديدة المتحدة, طرابلس, 2007.
47._____ فلسفة التأويل الأصول-المبادئ-الأهداف,تر,محمد شوقي الزين ,الدار العربية للعلوم ,بيروت,ط2, 2006.
48. هلدرلن ,قصائد مختارة,تر,فؤاد رفقة,دار صادر,بيروت, ط1, 1989.
49.هيجل ,فينومينولوجيا الرّوح,ترجمة و تقديم:ناجي العونلّي ,مركز دراسات الوحدة العربية,بيروت,ط1 , 2006.
50. هيوج.سلفرمان,نصيّات بين الهرمينوطيقا و التفكيكية,تر,علي حاكم صالح و حسن ناظم,المركز الثقافي العربي,الدار البيضاء-المغرب,ط1, 2002.

قائمة الموسوعات و المعاجم بالفرنسية:

1. Paul Foulquié, Dictionnaire de la langue philosophie, 1ere édition, presse universitaire de France, Paris, 1962.

بالعربية:

1.أندريه لالاند ,موسوعة لالاند الفلسفية,ج1,تعريب,خليل أحمد خليل,إشراف,أحمد عويدات,منشورات عويدات,بيروت,ط2, 2001.
2.عبد الرحمان بدوي ,موسوعة الفلسفة,ج2,المؤسسة العربية للدراسات و النشر ,بيروت ,ط1, 1984.
3.عبد المنعم الحفني, المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة,مكتبة مدبولي, القاهرة,ط3, 2000.